

المثنوي والقراصة

دكتور محمد محمد حسين



منشورات
دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

الرياض



٣٤

المكتبة الصغيرة

المكتبة الصّغيرة

٣٤

السُّنْبِيُّ وَالْفَرْدَاوَسِيُّ

الدّكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

شعبان ١٤٠١ هـ

يونيه ١٩٨١ م

منشورات

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله . وبعد :

هذه محاضرة عن « المتنبى والقرامطة » . ألقيتها في كلية الآداب بالجامعة الليبية بينغازى فى مساء يوم السبت ٢١ من رجب سنة ١٣٨٣ لهجرة نبينا عليه الصلاة والسلام ، الموافق ٧ من ديسمبر سنة ١٩٦٣ ميلاد المسيح عليه السلام . ثم نشرت فى المجلد الثامن عشر من مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية سنة ١٩٦٤م . ألحقت بها زيادة فى اجمال ما ذهب اليه الباحثون المعاصرون بشأن القصة الشائعة التى تزعم أن أبا الطيب ادعى النبوة فى صدر شبابه . وكانت هذه الزيادة استجابة لطلب الأخ الصديق الأستاذ عبد العزيز الرفاعى .

والدراسة الأدبية لا تعرف الكلمة الأخيرة ، لأنها - مع كل المحاولات التى تريد أن تخضعها لمناهج علمية ثابتة - يظل شطر كبير منها معتمداً على الخيال وعلى الذوق الشخصى وعلى قياس الأحداث وتعليلها بمقاييس الباحث نفسه فى السلوك وفى ردود الأفعال . وتظل بصمات الباحث الشخصية ظاهرة فى البحث ،

مهما يبذل من جهد في التجرد منها . وتظل الدراسة الأدبية أولاً
وآخرأ مزيجاً من الرياضة العقلية والفنية ، ومحاولة لكتابة
قصة غاب كثير من عناصرها وأحداثها ، فملأنا فجواتها بالمنطق
الذى يقوده الخيال ، ويظل ممتزجاً به ، يصعب تخليصه منه .

محمد محمد حسين

الرياض فى ١٥ من ذى الحجة سنة ١٤٠٠ هـ

المتنبى والفردوس

شغل المتنبى الناس فى حياته وشغل النقاد بعد موته . وبالرغم من مرور ألف عام على اشتغالهم بحياته وبشعره ، لا يزال فيهما بعض الظواهر الغامضة التى تحتاج الى تفسير ، أو التى لا يزال مجال الدراسة مفتوحاً لمزيد من الفروض التى تفسرها . ومن أبرز تلك الظواهر ظاهرة تأخذ نظر المتصفح لشعر المتنبى منذ النظرة الأولى ، وهى الثورة العارمة التى تُفَشِّى شعره كله ، لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات ديوانه . وقد كان الناس يطمئنون الى أن هذه الثورة مظهر لعُجب وزَهو يشبه الجنون ، جعل المتنبى فى نقمة دائمة على الناس ، ملوكهم وعامتهم . وهى نقمة لا يبررها عندهم الا هذا الجنون . حتى صدرت عدة بحوث فى سنة ١٩٣٦م بمناسبة مرور ألف عام على وفاة المتنبى ، كان أبرزها وأسبقها الى الظهور كتاب محمود شاكر الذى أصدرته مجلة المقتطف فى عدد خاص فى أول ذلك العام ، ثم كتاب عبد الوهاب

عزام وكتاب طه حسين اللذان صدرا بعده ببضعة أشهر . وقد علل محمود شاكر ثورة المتنبي بأنه علوى النسب وأن العلويين أكرهوا جدّته التى نشأ فى حجرها - لسبب لا نعرفه - على اخفاء هذا النسب ، كما علله بكراهيته للعناصر الدخيلة التى تسلطت على الدولة وأفسدتها . وعلل طه حسين هذه الثورة بأنه كان داعية قرمطياً . ونفى عبد الوهاب عزام قرمطيته بأدلة ونصوص من شعره . أما نحن فنريد أن نضيف الى نفى قرمطيته أنه كان عدواً للقرامطة يسعى الى جمع الناس على حربهم وتنبيههم الى خطرهم . وقبل أن أبدأ كلامى فى الموضوع لا أرى بداً من التعريف بالقرامطة . فمن هم القرامطة ؟

القرامطة شعبة من شعب الباطنية أو الشيعة الاسماعيلية ، الذين برزوا على مسرح التاريخ الاسلامى فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، والذين كانوا يتظاهرون بالدعوة لآل البيت وانصاف المظلومين من الظالمين والمحرومين من المترفين ،

ويبطنون الاتحاد وهدم الاسلام ، بل هدم العقائد الدينية كلها ، باستدراج الداخلين فى دعوتهم فى مراتب ودرجات سرية يسلمونهم فيها من عقائدهم ، حسب ما يرونه من استعداد التابع لهم ، حتى ينتهوا به الى الكفر بكل الأديان والتحرر من كل التكاليف واباحة كل المحرمات .

وكتب التاريخ على اختلافها مملوءة بأخبار القرامطة ومحاربتهم للخلافة العباسية وغاراتهم المخرّبة على الأمصار والمدن ، وفضائعهم التى ارتكبوها مع قوافل الحجاج وفى الكعبة نفسها . ولكن نشأتهم وعقائدهم وحقيقة أهدافهم يحيطها كثير من الغموض - شأن كل الدعوات السرية - وأكثر ما نعرفه عنهم فى هذه الناحية مستمد مما كتب عن الشيعة الاسماعيلية الذين يطلق عليهم اسم الباطنية - والقرامطة كما قلنا شعبة منهم - نجد ذلك فى كتب الفرق ، مثل (الفرق بين الفرق) للبغدادى (المتوفى سنة ٤٢٩) و (التبصير فى الدين) لتلميذه وختنه عماد الدين الاسفرايينى (المتوفى

سنة ٤٧١) و (الفصل فى الملل والأهواء والنحل)
لابن حزم الأندلسى (المتوفى سنة ٤٥٦) و (الملل
والنحل) للشهرستانى (المتوفى سنة ٥٤٨) . وقد
ازدادت معرفتنا بعقائد الباطنية فى السنوات
العشرين الأخيرة ، بعد ظهور عدد من الكتب التى
ألفها علماء هذه الطائفة ودعاتها . وان كان من
الواضح أن هذه الكتب لا تمثل الجانب السرى
الهدام من المذهب . فهى مكتوبة للعامة ممن يراد
استدراجهم وادخالهم فى المذهب . ولا تزال أكثر
كتب الدعاة مجهولة أو مستورة فى خزائن الشعب
المتخلفة الباقية من هذه الطائفة فى الشام واليمن
وشرق افريقية وفى باكستان والهند ، ولا سيما
طائفة البهرة (١) .

وأقدم ما وصلنا فى الكلام عن مذاهبهم هو
ما كتبه الحسن بن موسى النوبختى (من علماء
الشيعة الامامية فى القرن الثالث الهجرى) فى
كتابه « فرق الشيعة » . ومن أقدم ما وصلنا عن
أخبار القرامطة (كشف أسرار الباطنية وأخبار

القرامطة) لمحمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني . ويعد هذا الكتاب أخطر ما كتب عن القرامطة والباطنية عامة ، لأنه ينفرد بين سائر ما كتب عنهم بأن مؤلفه قد دخل في مذهبهم واندمج في صفوفهم ، ثم انسلك منهم حين عاين كفرهم وضلالهم ، وكتب كتابه تنبيهاً للمسلمين الى خطرهم (٢) .

ودعاوى الشيعة عموماً - ومنهم الاسماعيلية والقرامطة - تبدأ من يوم الغدير - غدیر خم - الذى يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد فيه الى علي عند عودته من حجة الوداع سنة ١٠ هـ . وذهب غلاتهم الى أن النبوة قد سلبت من النبي منذ ذلك الوقت وأصبحت لعلی رضى الله عنه (٣) .

والشيعة كلهم - على اختلاف فرقهم - يقولون ان الامامة تورث ولا تكتسب ، وانها قد تسلسلت فى عقب علي ، كلما مات امام نص على من يخلفه بوحي من عند الله لا محل فيه لاجتهاد البشر .

وفساد دعاواهم يبدأ من ابن سبأ اليهودي الأصل ،
الذى يعتبر اليد المحركة من وراء الفتنة التى انتهت
بمقتل عثمان رضى الله عنه ، والذى يعتبر كذلك
اليد المحركة لفتنة علي ومعاوية حين اندس هو
وصحبه فى صفوف جيش علي . فقد زعم أن روح
الله حلت فى علي ، وأقحم على التشيع عناصر
غريبة عن الاسلام حين زعم أنه حي لم يمت ، وأنه
يعود فى آخر الزمان ليملا الأرض عدلاً كما ملئت
جوراً(٤) . ثم كان ظهور الاسماعيلية الباطنية على
يد يهودي آخر ، هو عبد الله بن ميمون القداح
أخطر تطور خرج بالدعوة من النور الى الظلام ،
ودخل بها فى سرايب الخفاء(٥) .

وتبدأ دعوى الاسماعيلية استحقاق الامامة بوفاة
الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن
زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبى طالب
سنة ١٤٧ . فقد انقسم الشيعة من بعده الى فريقين :

(أ) - الامامية : الذين سلسلوا الامامة من بعده

فى ابنه موسى الكاظم ، وفى أبنائه من بعده ، الى الامام الثانى عشر محمد بن الحسن العسكرى ، الذى دخل السرداب بزعمهم فى مدينة سامرا (شمال بغداد) سنة ٢٦٠ . ويظل فيه الى أن يعود فيملاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً .

(ب) والاسماعيلية : الذين قالوا بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق وامامة أبنائه من بعده . وهم يزعمون أن جعفرأ عهد بالامامة الى ابنه اسماعيل الذى توفي فى حياة أبيه . وفى زعمهم أن الامامة تنتقل الى ابنه محمد بن اسماعيل لا الى أخيه موسى . وفيهم من يزعم أن اسماعيل لم يمت فى حياة أبيه ، ولكن أباه أذاع هذا الخبر تمويهاً على الخليفة العباسى . ومن الثابت تاريخاً أن محمد ابن اسماعيل بن جعفر الصادق ترك المدينة الى بلاد الديلم (جنوب بحر قزوين) . ولم يسمع عنه شىء بعد ذلك (٦) .

والواقع أن التاريخ لم يعرف شيئاً اسمه (فرقة

الاسماعيلية) حتى أواخر القرن الثالث ، عندما ظهرت حركة القرامطة فى البحرين والشام . وذلك بعد دخول الامام الثانى عشر ، محمد بن الحسن العسكرى السرداب - بزعم الامامية - سنة ٢٧٠ (٧) . وكان ظهور القرامطة ايذاناً بظهور الاسماعيلية على مسرح السياسة ، بعد انقطاع أخبار ولد اسماعيل بن جعفر أكثر من قرن ، يزعم الاسماعيلية أن أئمتهم كانوا فيه مستترين خوفاً من بطش العباسيين . وهذه الفترة هى المعروفة عند مؤرخيهم بدور الستر (وهو يبدأ بوفاة جعفر الصادق سنة ١٤٧ وينتهى بظهور عبيد الله المهدي بالمغرب سنة ٢٩٦) ولم يستطع الاسماعيلية أن يقدموا لنا صورة صحيحة متفقاً عليها بينهم عن أئمتهم فى هذه الفترة . فالخلاف بينهم كثير حول عددهم وأسمائهم (٨) .

ونشأة فرقة الاسماعيلية (التى تنتمى اليها الدولة الفاطمية) موضع خلاف بين مؤرخى السُنَّة والشيعة على السواء . والخلاف حول، نشأة هذه

الفرقة يتصل اتصالاً وثيقاً بالخلاف حول نسب الفاطميين ، الذى ظل موضع جدل بين الباحثين القدماء والمحدثين منذ ظهوروا حتى الآن . ففريق من العلماء والمؤرخين يؤيد نسبهم الى الحسين رضى الله عنه - وهم قليل (٩) . وفريق آخر ينكر عليهم دعواهم - وهم الكثرة - ويرجعون نسبهم الى داعية خطير اسمه عبد الله بن ميمون القداح ، كان يتستر بالتشيع والدعوة لامام من آل البيت هو محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، ويدعو سراً الى مذهب فلسفي الحادي لانكار الأديان والنبوة ، صاغه فى تسع مراتب سرية يتدرج بالداخل فيها الى أن ينتهى به الى انكار جميع العقائد والشرائع (١٠) . وجمهور المؤرخين ومؤلفو كتب الفرق ، وفيهم مؤرخون من الشيعة ومن الاسماعيلية على الخصوص ، متفقون على أن القرامطة شعبة من الاسماعيلية الباطنية (١١) . فيذكرون أن حماد قرمط الذى تنسب اليه فرقة القرامطة قد دخل فى دعوة الباطنية على يد عبد الله بن ميمون القداح أو على يد ابنه . وأن حماد قرمط هذا قد قام بأمر

الدعوة فى سواد العراق فنجحت دعوته وكثر أتباعه ،
حتى اتخذ فى سواد الكوفة قرية بنى حولها سوراً
منيعاً ، وجعلها دار هجرة نقل اليها أتباعه سنة ٢٧٧
فتحصنوا بها (١٢) . وعن حماد قرمط أخذ الدعوة
أبو سعيد الجنابى مؤسس دعوة القرامطة فى
البحرين ، وذكرويه بن مهروية زعيم القرامطة فى
الشمال (شمال غرب العراق وبادية السماوة فى
الشام) .

ثم ان القرامطة خرجوا على الفاطميين
وحاربوهم . واختلف المؤرخون فى أسباب هذا
الانشقاق فى صفوف الباطنية . فمنهم من يقول
ان حمدان قرمط نفسه خرج على أبناء القداح سنة
٢٨٠ (١٣) . ومنهم من يجعل خروج القرامطة على
الفاطميين تالياً لظهور الفاطميين فى المغرب .
ويقولون ان ذلك كان بسبب شكهم فى صحة نسبهم
وفى صحة دعوتهم (١٤) . أما مؤرخو الاسماعيلية
فيقولون ان رحلة عبيد الله المهدي أول ملوك

الفاطميين في المغرب من سَلَمِيَّة كانت بسبب
انتقاض القرامطة عليه (١٥) .

وأية ما كان الأمر فقد ظل الناس الى عصور
متأخرة لا يفرقون بين القرامطة والفاطميين . فقد
روى أبو المحاسن بن تغرى بردى فى كتابه «النجوم
الزاهرة» أن القرامطة بعد اختلافهم مع الفاطميين
أرادوا أن يستعينوا عليهم بالخليفة العباسى (المطيع
بالله) فرفض طلبهم وقال : « كلهم قرامطة وعلى
دين واحد » (١٦) .

كانت الدعوة الباطنية بشعبتيها - القرمطية
والفاطمية - دعوة هدامة ترمى الى افساد الاسلام ،
بل الى هدم الدين جملة . وكانت تعتمد فى ذلك
على خطة محكمة وعلى جهاز سري دقيق التنظيم .
وكانت « سَلَمِيَّة » - بالقرب من حمص فى سورية -
هى المركز الأول لقيادة هذه الحركة . وقد ظلت
كذلك الى أن انتقلت منها القيادة الى شمال افريقية
ثم الى مصر . وكانت أسرة ميمون القداح رأس

هذه الحركة تعيش فى « سلمية » فى هيئة تجار ،
ويخفون حقيقتهم على غير المقربين من أتباعهم ،
ويرسلون دعائهم الى جميع البلاد الاسلامية للتبشير
بقرب ظهور المهدي المنتظر (١٧) . أما جهاز الدعوة
فقد كان يقوم على تقسيم العالم الاسلامي الى مناطق
تسمى كل واحدة منها (جزيرة) ، مثل جزيرة
مصر ، وجزيرة العراق ، وجزيرة فارس ، وهكذا .
وعدد الجزر اثنتا عشرة جزيرة ، يقوم على كل منها
رئيس للدعاة يسمى (حُجَّة) . وكان يساعد الحجة
ثلاثون (نقيباً) . وكل نقيب منهم يتصل بأربعة
وعشرين (داعياً) ، منهم اثنا عشر داعياً ظاهراً
واثنا عشر داعياً محجوباً مستتراً . وبذلك نرى أن
عدد أفراد هذا الجهاز يقرب من (٨٧٠٠) . وذلك
باستثناء عدد آخر من الدعاة يعملون مع الامام
فى مقره ، وتتكون منهم هيئة القيادة العليا . وقد
قدر النوبختي عدد أتباعهم فى القرن الثالث فى
الكوفة واليمن بنحو من مائة ألف (١٨) .

وكان لكل طبقة من طبقات هذا الجهاز عمل

خاص لا تتعداده . فداعى النهار - أو الداعى المكاسر ، أو الداعى المكالب - وهو أدنى طبقات هذا الجهاز - مثلاً ، وظيفته التى لا يتعداها هي تشكيك الجماهير فى عقيدتهم وانتهاز كل فرصة أمامهم لالقاء الأسئلة الدقيقة على العلماء والفقهاء . وهى أسئلة تدور حول مشكلات الدين أو تفسير بعض المتشابه من آيات القرآن . يلقى هذه الأسئلة فى براءة كأنه طالب علم يريد الافادة . فاذا ظهر عجز العالم والتف حوله الناس يلتمسون عنده الجواب زادهم حيرة بمزيد من الأسئلة دون أن يجيب . مثل : لِمَ جعل الله السموات سبعة ولم يجعلها أكثر أو أقل ؟ ولِمَ أوجب الغسل من المنى مع طهارته واكتفى بالاستنجاء من البول مع نجاسته ؟ ولِمَ كانت الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ؟ وما معنى الحروف التى فى أوائل السور ؟ ومن هم حملة العرش الثمانية ؟ .. الى مثل هذه الأسئلة التى يستطيع القارئ أن يراجع نماذج منها فى خطط المقرئى (١٩) . يوجه الداعى مثل هذه الأسئلة للعلماء كأنه يطلب الاستفادة ، ويوجهها للناس

مظهراً حيرته كأنه يشك في العقيدة . يفعل ذلك وهو في الوقت نفسه يظهر النسك والتعبد . ويبدو أمام السني سنياً متطرفاً ، وأمام الشيعي شيعياً متعصباً ، وأمام الصوفي صوفياً من الأقطاب . فإذا أنس من أحدهم ميلاً إليه وتطلعاً الى الخروج من هذا الشك بالعلم اليقين ، أوصله بعد مراوغة وتمنع الى داع أرقى منه مرتبة ، مهولاً للفريسة قبل أن يلقاه في غزارة علمه وتضلعه الذي يزول عنده كل شك . كل هذا والغر الذي وقع في شباكهم لا يعلم الصفة المذهبية للداعي . ولا يزال يتنقل بين الدعاة في مختلف المراتب ، كلما استوثق منه داع نقله الى الأعلى منه ، وخطأ به خطوة جديدة في المكاشفة بأسرار المذهب (٢٠) .

ويختار الامام من رؤساء الجزر مجلسه الذي هو بمثابة القيادة العليا للدعوة وعلى رأسه (داعي الدعاة) ، الذي يعتبر أعلى مرتبة ظاهرة . والى جانب ذلك توجد مناصب أخرى سرية تعتبر ضمن هذا الجهاز الأساسي الذي يحيط بالامام . مثل

(حجة الامام) الذى لا يعرفه أحد حتى داعى الدعوة نفسه ، و (باب الأبواب) الذى لا يعرفه الا الامام نفسه ، (وداعى البلاغ) . وأعمال هذه الرتب ووظائفها وأسماء الذين شغلوها لا يزال سراً لم يكشف عنه البحث حتى الآن (٢١) .

وكانت الدعوة تجرى على نسق الجمعيات السرية كالماسونية فى مراتب متدرجة فى الأهمية عددها تسع . يتنقل فيها التابع طبقاً لاستعداده ولثقة القائمين على الدعوة فى صدق استجابته واخلاصه وقدرته على كتمان الأسرار . ويقطع على نفسه عند دخوله فى الدعوة الأولى عهداً يتعهد فيه (بأن لا يفشى لهم سراً ، وأن لا يظاهر عليهم أحداً ، وأن لا يطلب لهم غيلة ، وأن لا يكتهم نصحاً ، ولا يوالى لهم عدواً) . ثم يطالبه الداعي بعد ذلك بمبلغ من المال يقدره ، حسب ما يعرفه من حالته المالية ، وهو رسم الدخول فى الدعوة (٢٢) .

وقد أورد لنا المؤرخون المتأخرون مثل النويرى

والمقریزی مما أدركوه من بقايا تراث الشيعة
شدوراً ضافية من محتويات الدعوة السرية
وتفاصيلها . والذي يقرأ ما جاء فيها يدرك بوضوح
أن الدعوة الباطنية تذهب الى أبعد من التبشير
بالمذهب الفاطمي والدعوة لآل البيت . فهي تستحيل
في آخر الأمر الى عقيدة فلسفية متحررة مشبعة
بالاحاد وانكار الديانات كلها (٢٣) .

وقد كان التأويل هو الباب الذي يدخل منه
الباطنية الى أغراضهم الهدامة . ذلك أنهم يزعمون
لأتباعهم أن لكل ظاهر محسوس تأويلاً باطنياً
لا يعرفه الا الراسخون في العلم وهم الأئمة . وعنهم
وحدهم يؤخذ هذا العلم الذي يرثونه خلفاً عن
سلف . وزعموا أن علم الباطن من عند الله ، خص
به علي بن أبي طالب ، فخص النبي بالتنزيل وخص
علياً بالتأويل (٢٤) . وورث الأئمة من نسله التأويل .
والباطنية يشتركون مع فرق الشيعة الأخرى في
ولاية الامام (أى معرفته والانقياد التام له واعتقاد
عصمته) ويجعلونها أساساً للعبادات كلها لا تصح

بغيرها (٢٥) . ولكنهم ينفردون دونهم بما يضيفونه على
 الامام من صفات لا تعرفها فرق الشيعة الأخرى ،
 وهى صفات ترفع أئمة الشيعة الباطنية الى مرتبة
 لا تكاد تمت فيها للبشرية بصلة . ففى تأويلاتهم
 الباطنية أن الامام هو (وجه الله) و (يد الله)
 و (جنب الله) ، وأنه هو الذى يحاسب الناس يوم
 القيامة فيقسمهم بين الجنة والنار . وهو (الصراط
 المستقيم) و (الذكر الحكيم) و (القرآن الكريم) (٢٦)
 وتأويل الصلاة عندهم هو الاتجاه القلبى للامام .
 وتأويل الصوم هو عدم افشاء أسرار الدعوة .
 وتأويل الحج هو زيارة الامام (٢٧) . وجعلوا أسماء الله
 الحسنى التى جاءت فى القرآن الكريم أسماء لما
 سموه (العقل الكلى) زاعمين أنهم ينزهون الله عن
 جميع ما يليق بمخلوقاته من الأسماء والصفات .
 وأطلقوا على (العقل الكلى) اسم (المبدع الأول)
 أو (السابق) . وهو فى زعمهم المرموز اليه فى
 القرآن بـ (القلم) . ثم قالوا ان (العقل الكلى)
 أبدع (النفس الكلية) أو (المبدع الثانى) أو
 (التالى) ، وهو فى زعمهم المرموز اليه فى القرآن

بـ (اللوح المحفوظ) وقالوا ان (اللوح) له صفات (القلم) نفسها ، وهي أسماء الله الحسنی - جل وعلا - ولكن القلم أفضل بالسبق . وقالوا ان (القلم واللوح) أو (السابق والتالى) اشتراكا فى ايجاد المخلوقات . ومن هذا نرى أن كل ما يقوله المسلمون عن الله سبحانه وتعالى خلعه الباطنية على (العقل الكلى) . ثم ذهبوا - حسب عقيدتهم فى المثل والمثول - الى أن العقل الكلى فى العالم العلوي يقابله الامام فى العالم الجسماني . فكل صفات (العقل الكلى) هى أيضاً صفات للامام . لأن الامام (مَثَل) للعقل الكلى . فالامام اذن هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنتقم الجبار .. الخ . ويبدو ذلك واضحاً جلياً فى شعر شعرائهم الذى مدحوا به الأئمة (٢٨) .

وواضح من ذلك كله أن عقائد الباطنية مزيج عجيب من المذاهب والآراء الفلسفية القديمة . لذلك كان من أصح ما وصفت به أهداف هذه الدعوة ما قاله رينهارت دوزى R. DOZY فى برنامج

عبد الله بن ميمون حين وصفه بأنه يهدف الى الجمع بين أحرار المفكرين الذين لا يرون فى الدين سوى وسيلة لاستعباد الشعوب ، وبين الفلاة من جميع الطوائف . وأن يجعل من المؤمنين السذج آلات صماء تمد المتشككين بالقوة ، وأن يتخذ من هذا الجهاز الضخم وسيلة لرفعه أو رفع أبنائه فى الوقت المناسب الى الملك . لذلك لم يبحث عبد الله بن ميمون عن أنصاره الحقيقيين بين صفوف الشيعة الخالص ، ولكن بين الثنويين وطلاب الفلسفة اليونانية . ولم يكن يعتمد الا على الطائفة الأخيرة . واليهم وحدهم كان يفضى بسرّه ، وهو أن الأئمة والأديان والاخلاق ليست الا ضلالا وسخرية ، وأن باقى البشر – أو الحُمُرَ كما كان يسميهم – ليسوا أهلا لفهم هذه المبادئ . وكان يحرص أشد الحرص على أن لا يتجاوز المتدينون الذين يخدعون بدعوته ويخلصون له الطاعة المرتبة الأولى من دعوته (٢٩) .

أصبح أتباع الدعوة الباطنية – والقرامطة منهم على الخصوص – قوة رهيبة تبعث الرعب فى القلوب

منذ القرن الرابع . ففاضت كتب التاريخ بأخبار غاراتهم الوحشية المدمرة على المدن الآمنة وعلى قوافل الحجاج . ومن أفضعها ما رواه ابن الأثير فى حوادث سنة ٣١٧ من غارة أبى طاهر القرمطي على مكة يوم التروية - وهو اليوم الذى يسبق وقفة عرفة وفيه يتجمع الحجاج فى مكة للخروج الى منى - ونهبه الحجاج وقتلهم فى المسجد الحرام وفى داخل الكعبة ، وقلع الحجر الأسود وانفاذه الى هجر (٣٠) ، وقلع باب البيت والميزاب ، وطرح القتلى فى بئر زمزم وقسم كسوة الكعبة بين أتباعه (٣١) .

وزاد فى خطورة الباطنية أنهم كانوا يعتصمون بجهاز دقيق التنظيم يعتمد على تخطيط محكم . فكانوا يعيشون فى ستر ، لا يعرف أحد حقيقة مذهبهم . وعندما تواتى الفرص كان يظهر للناس أن عدداً كبيراً منهم يعملون فى بلاط الأمراء والخلفاء ويندسون بين صفوف العامة دون أن تُعرف حقيقتهم ، فكانوا فى مراكزهم هذه يمهدون السبيل لسيادة دولتهم فى انتظار الوقت الملائم (٣٢) .

والواقع أن سلوك الفاطميين والقرامطة كما
تمثله كتب التاريخ من أقوى الدلائل على عدائهم
للاسلام والمسلمين . فمن ذلك جرائم القرامطة
الوحشية التي تصور تعطشاً الى دماء المسلمين .
ومنه اجتماعاتهم الصاخبة التي يبيحون فيها نساءهم
لرفقاء الدعوة ، الى جانب ما شاع من ابحاثهم
اللواط (٣٣) . ومنه توسع الفاطميين فى استخدام
اليهود والنصارى ، وفى توليتهم الوزارة وتحكيمهم
فى رقاب المسلمين وبذلهم غاية التسامح لهم
والتكريم ، فى الوقت الذى كانوا يُضيّقون فيه
على أهل السنة الى حد الاضطهاد . حتى لقد قال
شاعرهم (الرضى بن البواب) حين عظم نفوذ
اليهود وشغلوا مناصب الدولة فى عهد المستنصر ،
وكانت أمه أمة فى بيت أبى سعيد التستري
اليهودي (٣٤) .

يهود هذا الزمان قد بلغوا
غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم
ومنهم المستشار والمملك

يا أهل مصر لقد نصحت لكم
تهودوا فقد تهود الملك

ومما ترويه كتب التاريخ فى هذا الباب قصة
المرأة التى عرضت للعزیز بن المعز فى موكبه مادّة
يدها بورقة كأنها ظُلامة . فلما فضها وجد فيها :
(بالذى أعز اليهود بمنشأً والنصارى بعیسی بن
نسطوروس ، وأذل المسلمين بك ، الا ما كشفت
ظلامتى) - وكان العزیز قد ولاهما الوزارة -
وطلبوا المرأة فاذا هي هیکل من جريد النخل (٣٥) .
ومما تحفظه كتب التاريخ تنصيب الحاكم بأمر الله
خالیه النصرانیين بطريرکین لطائفتهما فى بیت
المقدس وفى القاهرة (٣٦) .

وما ترويه كتب الفرق عن حرصهم الشديد على
کتمان دعوتهم وعدم تصریحهم للعامة بعقیدتهم ،
واستعمالهم أبجدية خاصة فى تدوين أسرارهم ،
مع تلونهم وظهورهم فى كل بیئة بما يناسبها ،
وتقربهم الى كل جماعة بما یلائم عقائدهم

وطبائعهم ، كل ذلك يؤكد أنهم أصحاب دعوة سرية
هدامة ، وأن أهدافهم الحقيقية تختلف عن ظاهر
أقوالهم وأعمالهم (٣٧) .

★ ★ ★

هؤلاء هم الباطنية والقرامطة كما صورتهم كتب
التاريخ والفرق وما ظهر للناس من كتبهم . فأين
مكان المتنبي من هذه الصورة ومن هذه المبادئ ؟

لم تتجه عناية الذين أرخوا للمتنبى من الأقدمين
الى هذه الزاوية من حياته وشعره ، فقد كان مذهب
السلف فى التراجم والتاريخ يقوم على رواية
ما يروون من أخبار يسندونها الى رواتها ، على
علاتها وعلى اختلافها وتعارضها . لأنهم كانوا يرون
أن العُمدة فى صحة هذه الأخبار أو فسادها هو
صدق رواتها وتحريتهم ، أو كذبهم وترخيصهم ،
وليس للعقل عمل فى ذلك . فقد يكون أبعد الأخبار
ن المعقول المألوف هو أدناها الى الصدق ومطابقة
لواقع . وقد يكون أقربها الى المألوف هو أبعداها

عن الصدق والصحة . ويتمثل مذهبهم هذا فيما ذكره الطبري في مقدمة تاريخه حين قال :

« وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادى فى كل ما أحضرت ذكره فيه ، مما شرطت أنى راسمه فيه ، إنما هو على ما رويت من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه ، والآثار التى أنا مُسندُها الى رواتها فيه ، دون ما أُدرك بحُجَج العقول واستنبط بفِكْر النفوس ، الا اليسير القليل منه . اذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادثين غيرَ واصل الى من لم يشاهد هم ولم يدرك زمانهم الا باخبار المخبرين ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفِكْر النفوس . فما يكن فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يَعرف له وجهاً من الصحة ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يُؤتَ فيه من قبَلنا ، وإنما أُتِيَ من قِبَل بعض ناقليه

الينا . وانّا انما أدّينا ذلك على نحو ما أدّى
الينا . »

وبسبب مذهبهم هذا ، الذى أوضحه الطبري
فى مقدمة تاريخه ، حفظوا لنا كل ما تردد فى
عصورهم من أخبار ، تاركين لنا تمحيصها سَنَدًا
و متناً . وبذلك اتسعت مذاهب المحدثين فى ذلك
واختلفت نتائج بحوثهم . ولو أن الأقدمين اختاروا
بأذواقهم وعقولهم واستنباطهم احدى الروايات
لضاع علم كثير ، وفرضوا علينا آراءً لا يتفق
الباحثون فى الاجتماع عليها .

هذا هو مذهبهم فى دراسة التاريخ . أما
مذهبهم فى دراسة الأدب فقد كان يقوم على دراسة
النص ، والاستطراد فى شرحه الى ما يفسره
وما يتصل به من تاريخ وفلسفة ولغة ونحو ونقد .
وكلها علوم تقوم على الرواية ، فيما عدا النقد
الذى يعتمد على الذوق . وكان هذا المذهب الذى
نسماه اليوم استطراداً مذهباً مقصوداً يستهدف

التكامل فى ثقافة دارس الأدب ، يتعرف من خلاله على علوم العصر ومعارفه المختلفة . وهو ما تبرزه كلمة ابن خلدون المشهورة عند تعريفه للأدب فى مقدمته حين قال انه (الأخذ ' من كل علم بطرف) . وقد عاد بعض القائمين على الدراسات التربوية فى الغرب يتكلمون اليوم عن ضرر التخصص الضيق الذى يحصر الطالب فى فرع من الدراسة لا يتعداه ، ويطالبون بالثقافة المتكاملة التى تجمع بين الآداب والفنون والعلوم والتى لا تحصر المتخصص فى فرع تخصصه وحده .

ظلت الدراسة الأدبية تسير على ذلك النحو ، حتى نشأ عندنا فى القرن الأخير ما سميناه « تاريخ الأدب » بمناهجه الثلاثة المعروفة : المنهج التاريخي والمنهج النفسى والمنهج النقدي ، نللا عن الأوربيين فى دراساتهم لآدابهم وفى دراساتهم لتاريخ الأدب العربى والفكر الاسلامي ، ضمن ما يقوم به المستشرقون من دراسات اسلامية تحاول أن تكشف

عن الأصول الفكرية والاجتماعية والسياسية فى
الشعوب الاسلامية التى ارتبطت بها مصالحهم .

وكانت هذه الدراسة المستحدثة لتاريخ الأدب
العربى تعتمد على دراسة النص فى ظل المؤثرات
التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية التى
أنتجته ، وفى ظل دراسة السيرة الشخصية للأديب ،
الذى تركت انفعالاته وعواطفه ' وأحاسيسه الظاهرة'
والباطنة ' بصماتها فيما كتب . وكانت هذه الدراسة
تحاول ، قدر الاستطاعة ، أن تستخرج القصة
الكاملة للنص ولكاتبه ولعصره ، بمقابلة النصوص
الأدبية والتاريخية والسير الشخصية بعضها ببعض ،
لتكمل ما فى بعضها من نقص بما فى بعضها الآخر
مما يسد هذا النقص ، ولكي تصل الى الحقيقة حين
تتعارض هذه الأصول ، وتملاً ما فى الصورة العامة
من فجوات ، بمزيج من الخيال والمنطق .

فى ظل هذه الدراسة المستحدثة ظهرت دراسات
تحاول أن تعلق ظاهرة السخط والثورة التى تملأ

ديوان المتنبي . فذهب بلاشير الى أن المتنبي لم يكن قرمطياً ، ولكنه تأثر بآراء القرامطة (٣٨) . وذهب ماسينيون الى أنه كان قرمطياً (٣٩) . واتبع طه حسين رأي بلاشير وبالع فيهِ ، فبنى كتابه عن المتنبي على أنه كان داعية قرمطياً ، وأنه خان القرامطة في آخر أيامه ، فكان ذلك سبب قتله أو من أسبابه . وناقش عزام أدلة الذين ذهبوا هذا المذهب ، وانتهى الى أن قرمطية المتنبي دعوى يعوزها الدليل (٤٠) .

وذهب محمود شاكر في كتابه عن المتنبي الذي نشرته مجلة « المقتطف » في عدد خاص سنة ١٩٣٦م وأعاد نشره سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) الى أنه كان علوي النسب ، اضطره العلويون وأكروهوا جدته على اخفاء هذا النسب ، بعد أن فرقوا بين الزوجين ، أبيه وأمه ، لأسباب مجهولة . وبنى بحثه على ذلك . ووجه كل ما في شعره من ثورة الى أنه صدى لماكيد العلويين من ناحية ، ولعصبية العربية وكراهيته للأعاجم الذين تسلطوا على الدولة وأفسدوها من ناحية أخرى . أدار ثورته السياسية على هذا المحور ،

و أدار حنينه وأشواقه وأحزانه على محور آخر ، هو
حبه لخولة أخت سيف الدولة وفراقه لها حين فارق
إخاها ، ثم موتها وهو بعيد عنها .

ومع ما فى شعر المتنبى من الدلائل التى تنفى
علويته ، وفى مقدمتها الاعتداد بأعمال الناس دون
أنسابهم ، فقد كان محمود شاكر أول من فتح
الباب بين أدباء العرب المعاصرين للبحث عن علة
لشعر المتنبى الثائر والمعارك التى خاضها مع
خصومه ، غير ما كان يتردد فى كتب الأدب
القديم والحديث من تعليل ذلك بترفع المتنبى
وصلفه وغروره ، الذى جرّ عليه كل ما عاناه من
متاعب . وكان أول من أدار حياته وشعره حول
هدف سياسى رفيع ، ونزّاهه عن أن يكون مريض
النفس حقوداً حسوداً . وكان فى الوقت نفسه أول
من ناقش دعوى ادعائه النبوة التى روت كتب
التاريخ والأدب أنها كانت سبب حبسه فى أول
حياته ، ودلل على فسادها . ووافقها فيما ذهب إليه

عبد الوهاب عزام فى كتابه الذى صدر فى العام نفسه بعد ذلك بأشهر .

أما نحن فنرجح أن المتنبي كان عدواً للقرامطة خاصة ، وللباطنية على وجه العموم ، وأنه ظل يناصبها العداء ، وظلت هي تتربص به وتكيد له ، حتى ظفرت به وقتلته . ونحن نعتمد فى حكمنا هذا على تدبر شعره فى ضوء ما عرفناه عن الباطنية والقرامطة ، وفى ضوء ما نعرفه عن ظروف عصره السياسية والاجتماعية ، وفى ضوء ما يفضى اليه تمحيص الروايات المتضاربة التى وصلت إلينا عن حياته .

فالقيم التى مجدها المتنبي فى شعره تتعارض مع مبادئ الباطنية والقرامطة ، بل هى تناقض المبدأ الأساسى الأول فى النظرية الشيعية ، وهو «الولاية» . والمقصود به عندهم كما قدمنا هو ولاية الامام . فيجب على الشيعى أن يعرف امام عصره وأن يؤمن بامامته ، بكل ما هو معروف عندهم من صفاف

الامامة ، وفى مقدمتها العصمة ، وأن يخلص له وينقاد لأوامره . والولاية عندهم ركن أساسى من أركان الدين ، بل هى الركن الأول الذين تبطل ببطلانه بقية الأركان . والباطنية - ومنهم القرامطة - يغفلون فى ذلك غلوأ يخرجهم عن الاسلام الى الشرك كما رأينا . فالامام عندهم له صفات الرسل . بل له الصفات التى يجعلها المسلمون من أسماء الله الحسنى - جل وعلا - والامام لا يبلغ هذه المرتبة بالاجتهاد فى تزكية نفسه وتطهيرها ، ولكنه يرثها بنص من الامام السابق الذى يعتمد فى ذلك على الوحي . فالنظرية الشيعية - والباطنية - على وجه الخصوص - تعتمد على الوراثة ولا مكان فيها للكسب . فسبيل الشيعي الى المثل الأعلى هو التغنى بآل البيت الذين هم سنده وعدته وذخره ، والتعلق بهم ، والتفانى فى الانقياد للامام . وشعر المؤيد فى الدين داعى الدعاة مثل حي لتصوير هذه القيم . وقد وصف ذلك الشاعر الذى كان يشغل أكبر منصب من مناصب الجهاز الظاهر فى الباطنية الفاطمية ، مقابلته الأولى للخليفة

الفاطمي المستنصر وصفاً تبدو فيه هذه القيم في
أجلى صورها ، فقال في كتابه (السيرة
المؤيدية) (٤١) :

« وكنت في مسافة ما بين السقيفة الشريفة ،
والمكان الذي ألح فيه أنوار الطلعة الشريفة
النبوية . فلم تقع عيني عليه الا وقد أخذتني
الروعة وغلبتني العبرة ، وتمثل في نفسي أنني بين
يدي رسول الله وأمير المؤمنين ماثل ، وبوجهي الى
وجهيهما مقابل . واجتهدت عند وقوعي على الأرض
ساجداً لولي السجود ومستحقه أن يشفعه لسانی
بشفاعة حسنة بنطقه ، فوجدته بعجمة المهابة معقوداً
وعن مزية الخطابة معزولاً ومكثت بحضرته
ساعة لا ينبعث لسانی بنطق ولا يهتدى لقول .
وكلما استرد مني الحاضرون كلاماً ازدادت اعجاباً ،
ولعقبة العي اقتحاماً . وهو - خلد الله ملكه - يقول :
دعوه حتى يهدأ ويستأنس . ثم قمت وأخذت يده
الكريمة فترشفتها ، وتركتها على عيني وصدری ،
ودعيت . وخرجت . »

أما المتنبي فهو يعول فيما يتغنى به من قيم
 على الكسب ، ولا يقيم وزناً للوراثة . بل يصرح
 بأن الأحساب لا تغنى عن صاحبها شيئاً إذا لم يكن
 صاحب الحسب متصفاً بالخلق الذي يصدق نسبه
 ويزكيه . فالذين يتقاربون في الطبائع والخلق هم
 الأقرباء ولو تباعدت بينهم الأنساب . والذين
 يتباعدون في الطبائع والأخلاق ليسوا بأقرباء وإن
 جمعت بينهم الأنساب . فالعلوي عند المتنبي علوي
 بأعماله لا بنسبه . يقول في قصيدة مدح بها أحد
 أشراف العلويين في الرملة ، بعد تمنع من جانبه ،
 والحاح من وإلى الأخشيديين في المدينة (٤٢) :

نصرت علياً يا ابنه ببواتر
 من الفعل لا قلُّ لها في المضارب
 إذا لم تكن نفس النسيب كأصله
 فما ذا الذي تغنى كرام المناصب
 وما قرّبت أشباه قوم أباعد
 ولا بعُدت أشباه قوم أقارب

ويقول من قصيدة فى مدح كافور
الاشيدي (٤٣) :

وَأَنفَ مَنْ أَخَى لِأَبِي وَأُمِّي
إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ
أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيرًا
عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللَّئَامِ
وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ
بِأَنْ أَعْزَى إِلَى جَدِّ هُمَامِ
عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ
وَيَنْبُو نَبْوَةُ الْقَضَمِ الْكَهَامِ
وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي
فَلَا يَنْذِرُ الْمَطِيَّ بِلَا سَنَامِ
وَلَمْ أَرْ فِي عَيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا
كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

وتتلخص القيم الخلقية التى مجدها المتنبى وملاؤها شعره فى صفات العفة المترفعة عن الشهوات ،
والمروءة والفتوة والاباء وتحمل تكاليف الجهاد .
وهي كما رأينا صفات لا يقيم لها القرمطي وزناً .

والداعى الباطنى يحصر كلامه فى التغنى بالامام
وفى جمع القلوب عليه . وهو يرى أن هذه القيم
الخلقية لا تغنى عن صاحبها شيئاً اذا لم يتول الامام .
فاذا تولى الامام فالانحراف عنها ليس بذى خطر .
بل شريعة الباطنيين والقرامطة تبيح لأتباعها
المحرمات وتسقط عنهم التكاليف كما رأينا .

يقول المتنبى فى احدى قصائده الشامية فى
انطاكية (٤٤) :

اننى على شغفى بما فى خمرها
لأعف عما فى سراييلاتها
وترى المروءة والفتوة والأبو
ة فى كل مليحة ضراتها
من الثلاث المانعاتى لذتى
فى خلوتى لا الخوف من تبعاتها
ومطالب فيها الهلاك أتيتها
ثبت الجنان كأننى لم آتها

فيقول في احدى كافورياته (٤٥) :
 وللسر منى موضع لا يناله
 نديم ولا يفضى اليه شراب
 وللخود منى ساعة ثم بيننا
 فلاة الى غير اللقاء تجاب
 وما العشق الا غيرة وطماعة
 يعرض قلب نفسه فيصاب
 وغير فؤادى للغيوانى رمية
 وغير بنانى للزجاج ركاب
 تركنا لأطراف القنا كل شهوة
 فليس لنا الا بهن لعب
 أعز مكان فى الدنيا سرج سابع
 وخير جليس فى الزمان كتاب (٤٦)

ويقول من قصيدته التى مدح بها دكثير بن
 لشكرو ز قائد جيوش الخلافة لانجاد الكوفة (٤٧) :

محب كنى بالبيض عن مرهفاته
 وبالحسن فى أجسامهن عن الصقل

• والسمير عن سمر القنا غير أننى
 جناها أحبائى وأطرافها رسلى
 • دمت فؤاداً لم تبت فيه فضلة
 لغير الثنايا الغرّ والحدق النجل
 • رينى أنل ما لا يُنال من العلا
 فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل
 • تر يدين لقيان المعالى رخيصة
 ولا بد دون الشّهد من ابر النحل

والمتنبى مع ذلك لم يمدح من العلويين الا
 جلين ، أحدهما العلوي الذى كان يقيم فى الرملة ،
 والذى أشبرنا الى أبيات من القصيدة التى مدحه
 بها ، والآخر هو محمد بن عبد الله العلوي الذى
 كان يسكن الكوفة . وقد مدحه فى صباه قبل أن
 يرحل عن العراق الى الشام (٤٨) .

بل نحن على العكس من ذلك نجد فى شعره
 تعريضاً ببعض العلويين وتهكماً بهم . فهو يتهم
 بعض العلويين فى (طَبَرِيَّة) بأنهم أدياء ، فيقول

من قصيدة له فى مدح التنوخيين بالشام . وكان قد
رحل عنهم الى طبرية . ولكنه لم يلبث أن عاد ساطاً
على العلويين الذين بها (٤٩) :
لولاك لم أترك البحيرة والفـ
ـور' دفىء وماؤها شـبـم (٥٠)

ثم يقول بعد أبيات وصف فيها جمال البحيرة
وما يحفها من مناظر خلابة :
يشينها جريها على بلد
تشينه الأدعياء والقـزـم

ويقول فيهم من قصيدة أخرى مدح فيها الحسن
ابن عبد الله بن طفج - وهو ابن أخى الاخشيـد -
في الرملة (٥١) :
وفارقت شر الأرض أهلا وتربة
بها علوي جدّه غير' هاشمـ

ويقول فى التعريض بأخرين يدعون النسب
العلوي ، فيتهكم المتنـبى بجهلهم ، لأن الذى يدعون

الانتساب اليه ليس له نسل (٥٢) :
 اَمَاتَكُمُ من قبل موتكم الجهل
 وجركم من خنسة بكم النمل
 ولو كنتم مَمْن يدبّر أمره
 لما كنتم نسلَ الذى ماله نسل

ويقول ، حين بلغه أن بعض مدعى العلوية قد
 اعدوا له كميناً فى (كفر عاقب) (٥٣) :
 اتانى وعيد الأذعياء وأنهم
 أعدوا لى السودان فى كفر عاقب
 فلم صدقوا فى جدّهم لحذرتهم
 فهل فىّ وحدى قولهم غير كاذب ؟

هل المقصودون بالتعريض هم أذعياء طبرية
 أشار اليهم من قبل كما فسرّه ابن جنى ؟ ذلك
 ولكن (كفر عاقب) التى يذكر الشاعر أنهم
 اعدوا له فيها كميناً قرية من أعمال حلب .
 حلب من طبرية ؟ أم أن الشاعر يعرّض فى
 بالاسماعيلية من دعاة الفاطميين الذين كانوا

منتشرين فى كل مكان ، وفى الشام ومصر على وجه الخصوص ؟ من الجائز على كل حال أن يكون المقيمون فى طبرية من عملاء الاسماعيلية ودعاتهم ؟ والا فكيف يُتَصَوَّر أن ناساً يسكنون فى طبرية يُعَدون كميناً فى حلب مالم يكونوا منتمين الى احدى العصابات أو الجماعات الدقيقة التنظيم؟.

شعر المتنبي مملوء بذكر هؤلاء الكائدين الذين تعقبوه فى كل مكان ، وطاردوه فى كل بلد ذهب اليه من بلاد الشام ، حتى تركوه فى قلق لا يعرف معه طعم الاستقرار . يقول من قصيدة له فى ابن عمّار الأسدي - وكان يلى قتال طبرية للخلافة العباسية (٥٤) :

ألفتُ ترحلى وجعلت أَرْضِي
'قتودي والغريري الجلالا (٥٥)
فما حاولت فى أرض مقاما
ولا أزمعت عن أرض زوالا
على قلق كأن الريح تحتى
أوجهها جنوباً أو شمالا

أرى المتشاعرين غُروا بـذمي
ومن ذا يحمـد الداء العُضالا
ومن يك ذا فـم مُر مريض
يجـد مُراً به الماء الزُّلالا

ويقول ، وقد مر بمدينة (جَرَّاش) متعجلاً ،
يمتدح الى صديق له بها (٥٦) :
لا تنكرنَّ رحيلي عنك في عجل
فاننى لرحيلي غيرُ مختارِ
وربما فارق الانسان مهجته
يوم الوغي غيرَ قال خشية العارِ
وقد مُنيتُ بحساد أحاربهـم
فاجعل نداك عليهم بعض أنصارى

ويصور المتنبي هؤلاء الأعداء الذين يترصدونه
فى أسفاره ، فيصفهم بأنهم لصوص يقطعون
الطريق ويعيشون فى أعماق الصحراء ، يرتدون
نياباً بالية لا تكاد تستر أجسادهم ، ويعيشون على
ما يجدونه فى الصحراء القاحلة من بيض الضب .

فاذا مر بهم أخذوا يتفرسون فيه ويسألونه عن اسمه ، وكأنهم يشكون فى أنه هو المتنبى . فيبالغ فى التظاهر بالجبن وعدم الخبرة بالقتال ، وبالجهل وعدم القدرة على اعراب الكلام . ومع ذلك يكاد ما طُبِعَ عليه من الفصاحة أن يفضحه . وكأنما كانت متاعب المتنبى وكثرة أعدائه وتعرضه للخطر تأتيه من فطنته ومن غباء الناس ، ومن ادراكه ما لا يدركون . يقول فى احدى قصائده الشامية بأنطاكية (٥٧) :

أفاضل الناس أغراض' لذا الزمن
يخلو من الهمّ أخلاهم من الفِطْنِ
وانما نحن فى جيل سواسية
شر على الحُر من سقم على بدنِ
حولى بكل مكان منهم خَلَق'
تُخْطِى اذا جئْت فى استفهامها بمنِ
لا أقترى بلداً الا على غرَر
ولا أمرُ بخلق غير مضطغنِ
ولا أعاشر من أملاكهم ملكاً
الا أحق بضرب السيف من وثنِ

و'مدقِعين بسُبروت صحبتُهم
 عارين من حُلل كاسين من دَرَنِ (٥٨)
 خُرَّابُ بادية غرثى بطونهم
 مكن الضباب لهم زاد بلا ثمنِ (٥٩)
 يستخبرون فلا أعطِيهم خبرى
 وما يطيش لهم سهم من الظننِ
 وخَلَّة من جليس أتقيه بها
 كيما يرى أننا مثلان فى الوينِ
 وكلمة فى طريق خفت أ'عرِ بها
 فيُهدَى لى فلم أقدر على اللننِ

ويقول فى احدى كافورياته ، مصوراً ترصد
 أعدائه له وهو فى طريقه الى مصر (٦٠) :
 فلو لم تكن فى مصر ما سرت نحوها
 بقلب المشوق المستهام المتيم
 ولا نبحت خيلى كلاب' قبائل
 كأن بها فى الليل حملات ديلم
 ولا أتبعت آثارنا عين' قائف
 فلم تر الا حافراً فوق منيم

ويصور هربه من مصر وسط جماعة من غلمان
المدرّبين على القتال (٦١) :

تُبدّل أيامى وعيشى ومنزلى
نجائب' لا يُفكرن في النحس والسعد
وأوجه' فتيان حياء تلثموا
عليهن لا خوفاً من الحر والبرد
وليس حياء' الوجه في الذئب شيمة
ولكنه من شيمة الأسد الوارد
إذا لم تُجِزهم دار' قوم مودة
أجاز القنا ، والخوف' خير من النود

من هم هؤلاء الأعداء الذين ملؤوا حياة المتنبي
وشعره ، وترصدوه فى بلاط الملوك والأمراء ،
وفى رحلاته فى الصحراء ؟ وهل كانوا يعادونه
لأسباب شخصية أم لأسباب سياسية ؟ ان سلوك
المتنبي ومزاجه الحاد كان خليقاً أن يثير عليه كثيراً
من العداوات . ولكننا لا نستطيع أن نخلى هذه
العداوات والمكايد من الدوافع السياسية . فشعر
المتنبي مملوء بالثورة على الظلم وعلى الأوضاع

الفاسدة التي كانت سائدة في عصره (٦٢) ففى صباه
المبكر في الكوفة نجده يقول (٦٣) :

الى أي حين أنت في زي مُحَرَّم
وحتى متى في شقوة والى كم
والا تمّت تحت السيوف مكرماً
تمّت وتقاس الذل غير مكرم
فثب واثقاً بالله وثبة ماجد
يرى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

ويقول في شامياته الأولى (٦٤) :
لأتر'كنّ وجوه الخيل ساهمة
والحرب' أقوم' من ساق على قدم
والطعن' يحرقها والزجر' يقلقها
حتى كأن بها ضرباً من اللّم
بكل منصلت مازال منتظري
حتى أدلت' به من دولة الخدم

وفى البيت الأخير تعريض بخلافة بغداد التي
يسمّيها (دولة الخدم) . وفيه تصريح بالاعداد لثورة

يتولى هو قيادتها . بل هو يذهب فى التصريح الى
أبعد من ذلك فيقول :

مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ غَدَاً
وَمِنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعُرَبِ وَالْعَجَمِ
فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِي بِهَا لَهُمْ
وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمْ

ويقول فى قصيدة يمدح بها صديقاً له كان
يسكن فى جبل (جَرَش) (٦٥) :

لَا افْتِخَارَ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ
مُدْرِكٌ أَوْ مُحَارَبٌ لَا يَنَامُ
لَيْسَ عَزْماً مَا مَرَّضَ الْمَرْءُ فِيهِ
لَيْسَ هَمًّا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلَامُ
وَاحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَا جَانِبِ—
— غِذَاءِ تَضَوَّى بِهِ الْأَجْسَامُ
ذَلٌّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بَعِيشُ
رُبَّ عَيْشٍ أَخَفَ مِنْهُ الْحِمَامُ
كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارِ
حُجَّةٍ لَاجِئِ الْيَهَا اللُّثَامِ

اقراراً أَلَذُّ فوق شرار
ومراماً أبغى وظلّمي يرام ؟
دون أن يشرق الحجاز' ونجد
والعراقان بالقنا والشام ؟

ويندد الشاعر في قصيدة أخرى من قصائده
الشامية بحياة الترف والفسق ، مهدداً
بالانتقام (٦٦) :

ولا تحسبنَّ المجد زِقاً وقينة
فما المجد الا السيف والفتكة البكر
علىّ لأهل الجور كلُّ طِمِرَّة
عليها غلام ملء' حيزومه غِمر (٦٧)

ويصور سخطه على ما آل اليه أمر الخلافة ، بعد
أن تحكم فيها السفهاء والجهال من جنود الترك
فبغوا وأفسدوا وأغرقوا أنفسهم في الترف (٦٨) :

وانما الناس' بالملوك ولا
'تفليح عُرب ملوكها عَجَم
لا أدب عندهم ولا حسب
ولا عهد لهم ولا ذِمَم

بكل أرض وطئتُها أمم
ترعى بعبد كأنها غنم
يَسْتَخْشِنُ الخَزَّ حين يلبسه
وكان يُبرى بظفره القلم

ويقول مصوراً ترف الحكام وضعف همهم (٦٩):

فؤاد ما تسلّيهِ المِدام
وعمر مثل ' ما تهب' اللثام
ودهر ناسُهِ ناس صغار
وان كانت لهم جث ضغام
أرانب' غيرَ أنهم' ملوك
مفتحة عيونهم نيام
بأجسام يحرق القتل' فيها
وما أقرانها الا الطعام
وخيل ما يخرق لها طعين
كأن قنا فوارسها ثمام (٧٠)
ولم أر مثل جيرانى ومثلى
لمثلى عند مثليهم' مقام

بأرض ما اشتهيتَ رأيتَ فيها
فليس يفوتها الا الكرام
فهلاً كان نقصُ الأهل فيها
وكان لأهلها منها التمام

ويقول فى احدى مدائحه لسيف الدولة ، موازناً
بيان جدّه فى حرب الروم ، وبين لهوهم وعبثهم :
الهى الممالكَ عن فخر ذهبَت به
شربُ المدامة والأوتارُ والعود(٧١)

ويقول فى القصيدة التى بعث بها اليه من
الكوفة ، حين استدعاه بعد عودته من مصر فاعتذر :
ما الذى عنده تُدار المنايا
كالذى عنده تدار الشّمول(٧٢)

فى ظل هذا الشعر الثائر نستطيع أن نناقش
قصة ادعاء أبى الطيب النبوة التى لقب من أجلها
فيما يقولون بالمتنبى . ناقش محمود شاكر
النصوص التى وردت فى كتب الأدب والتاريخ

القديم وفنّدها جميعاً لتهافتها وتفاهتها في مثل ما روته من معجزاته وقرآنه . فمعجزاته المزعومة تافهة لا تجوز على أحد ، والقرآن المزعوم ضرب من الهذيان لا يليق بمن هو في مثل منزلته من قوة البيان . وبَيَّن تناقض ما رَوِيَ في هذا الصدد من أخبار اذا عورض بعضه ببعض من ناحية ، واذا عورض في جملته بشعره من ناحية أخرى ، ولا سيما الشعر الذي قاله في سجنه يستعطف به الوالى لاطلاقه . فهو يخلو خلواً تاماً من أى اشارة الى اتهمه بادعاء النبوة . ورد محمود شاكر سجن المتنبي الى عداوته للعناصر الدخيلة من العجم والديلم والترك من خدم الخلفاء ، الذين استولوا على السلطة وحجبوا الخلفاء عنها . ثم الى اتصاله ببني حمدان أعداء الفاطميين ، الذين كانوا يطمعون بعد الزحف الى مصر في ضم بلاد الشام ، ثم الى ما يفترضه من اذاعة نسبه العلوى في الشام ، الذى كان العلويون - لأمر ما - يحرصون على كتمانها . فاجتمعت على المتنبي - كما يقول - عيون الفاطميين وعيون العلويين وعيون الدولة

الهامة فى الشام . ويعمل محمود شاعر لقب المتنبى
ان ابا الطيب كان فى أول أمره متورعاً فى خلقه
لا يخرج عن حدود الوقار ، متمتاً لا يلين للشهوات
ولا يلقي اليها مقاده ، مترفعاً عن سفساف الأخلاق
، تمسكاً بمعاليها ، آخذاً نفسه بالجد الذى لا يفتر .
« ان لا يقرب التَّهَمَ ولا يدانيها » فما كذب ولا
« نا ولا لاط » ولا أتى منكراً يؤخذ عليه أو يُزَنُّ
به . واستمر على ذلك حياته كلها . وكان أهل
مصره على خلاف ذلك ، وخاصة من انتسب الى
الأدب واعتزى الى الشعر . فلا عجب اذا عدّه أهل
صناعته من الأدباء والشعراء غريباً عنهم . ويمضى
محمود شاعر فى تعليل هذا اللقب ، فيقول ان
المتنبى فى أول شعره كان يكثر من ذكر الأنبياء
ويردد أسماءهم فى شعره ويشبّه نفسه بهم
ويقىس أخلاق ممدوحيه الى أخلاقهم فى مثل قوله:

ما مُقامي بأرض نَحلة الا

كمُقام المسيح بين اليهود

وقوله فى القصيدة نفسها :
أنا فى أمة تداركها الله
هـ ' غريب كصالح فى ثمود

وقوله :
أنا الذى بينَ الاله به الـ
أقدار والمرء' حيثما جعله

وكان أيضاً كثير الانذار للملوك والأمراء
بعذاب بئس سياّتهم من قبله كقوله :
ميعاد' كلّ رقيق الشفرتين غداً
ومن عصى من ملوك العرب والعجم
فان أجابوا فما قصدى بها لهم'
وان تولّوا فما أرضى لها بهم

يقول محمود شاكر ان الشعراء خافوه على
أرزاقهم حين علا ذكره واتصل سببه ببدر بن
عمّار ، فنزوه بالمتنبى لما رأوه من كثرة دوران
الأنبياء فى شعره وترفعه عن مجالس لهوهم .

نيزوه به تَندُرْأً وأخذوا يذكرونه بهذا الاسم .
 فلما كان ما كان من أمر حبسه أحدثوا من هذا
 النبز قصة مخترعة عن نبوة زعموا أنه ادّعاها .
 ويرى محمود شاكر أن القبض عليه كان سنة
 ٣٢٢ هـ وأن تلقيبه بالمتنبى كان بعد سنة ٣٢٥ هـ .
 لأن الناشئ قال فيما رواه عنه ياقوت الحموي ان
 ابا الطيب كان يحضر مجلسه سنة ٣٢٥ هـ بالكوفة
 (وهو بعد لم يُعرف ولم يلقَّب بالمتنبى) (٧٣) .

ووافق عبد الوهاب عزام محمود شاكر وطابقه
 فيما ذهب اليه ، وزاد عليه معارضة النصوص التي
 وردت في ادعاء النبوة عند الخطيب البغدادي في
 « تاريخ بغداد » وعند البديعى في « الصبح
 المنبى » بروايتين للثعالبي وابن جنّي لم يَرِدْ
 فيهما قول صريح عن ادعاء المتنبى للنبوة . وذلك
 بالاضافة الى رواية ياقوت في معجم الأدباء عن
 أبى الحسن الناشئ التي اعتمد عليها محمود شاكر
 من قبل ، وهى تؤكد أن شاعرنا لم يلقَّب بالمتنبى
 قبل سجنه ولا فى السنة التى سُجِنَ فيها . وتروى

أنه كان ينكر القصة اذا نبزه بها خصومه فى
مجلس سيف الدولة . ووثق عبد الوهاب عزام
كذب دعوى النبوة بأن ابن الأثير وغيره روى
أخبار المتنبيين ولم يذكر أحدهم دعوى أبى الطيب .
ثم أكدّها بروايات شُرّاح ديوانه على أنه دعا
الناس الى أمر وسُجن فيه ، واختلاف الروايات
بعد ذلك فى أنها دعوى نبوة أو غيرها ، وبشعره
الذى قاله فى السجن يستعطف الوالى فى قصيدته :
أَيَا خَدَدَ اللَّهِ وَرَدَ الْخُدُودِ

وَقَدَّ قُدُودَ الْحِسَانِ الْقُدُودِ

وفيهما يقول :

وَقِيلَ عَدَوْتَ عَلَى الْعَالَمِينَ

بَيْنَ وَلَادَى وَبَيْنَ الْقُعُودِ

فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ

وَلَا تَعْبَأَنَّ بِمَحَاكِ الْيَهُودِ

وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى أَرْدَتِ

وَدَعْوَى فَعَلَتْ بِشَأْوَ بَعِيدِ

فلو كانت التهمة التى سجن بسببها هى ادعاء
البهوت لما أهمل البراءة منها وانكارها فى هذا
المقام . ويرجح عبد الوهاب عزام أن لقب المتنبى
لقد بسبب تشبيه نفسه بالمسيح بين اليهود وبصالح
فى ثمود ، ثم وُضِعَت قصة التنبؤ وشاعت لتعليل
هذا اللقب (٧٤) .

ثم صدر كتاب طه حسين عن المتنبى فى العام
نفسه . وهو كتاب يُعْنَى بالناحية الفنية والنفسية
أكثر من عنايته بالناحية التاريخية وبالتدقيق فى
تمحيص أحداثها ووقائعها ، فمرّ بهذه الحادثة
مروراً سريعاً واكتفى بالإشارة الى أن شعر المتنبى
الناثر وحده كاف لأن يدفع به الى السجن (٧٥) .

ثم انى أضيف الى ذلك كله أن المتنبى - وهو
لقب عُرف به ، تُسمّيه به ولا نَعْنِي دلالتة -
قد عرف خطر القرامطة وخطر هذه الأجناس
الدخيلة على الأمة وعلى الدين - وسوف نزيد ذلك
بياناً - ثم وقعت هذه المعرفة منه موقع اليقين

الذى ملأ نفسه واستغرق فكره وهمته وطاقته .
فليس بمستبعد فى مثل هذا الحال أن يستقر فى
نفسه شعور بأن التنبيه الى خطر هذه الفرقة واجب
عليه أن يحمله ، وتكليف لا تبرأ ذمته أمام الله الا
بإبلاغه وإذاعته . ومثل هذا الاحساس شئ مألوف
فى حياة كثير من المصلحين وأصحاب الدعوات ،
لا يطعن فى دينهم ولا يدعو الى اتهامهم بالتنبؤ ،
لأن يقينهم بهذا التكليف يزيد من صلابتهم فى
الدعوة الى ما يدعون اليه ، وفى الصبر على احتمال
ما يلاقون فى سبيلها من مكاره . وقد يعنى أن هذه
رسالتهم فى الحياة وواجبهم الذى يحاسبهم الله على
التفريط فيه . ولكنه لا يعنى أنهم رُسُل يوحى
اليهم . بل ان كثيراً من أصحاب الدعوات يقع فى
نفوسهم هذا الاعتقاد الراسخ ، ثم لا يكون ذلك
داعياً لفساد عقيدتهم ولا لاتهامهم بهذا الفساد .
ولكن أبا الطيّب قد ركب أمراً عظيماً بمخاصمة
جماعة سرّية خطيرة . وكان لا بد من اسقاطه فى
أعين الناس لكي يُصمّموا آذانهم عن سماعه .

فى قصيدة المتنبى الدالية التى بعث بها من
سجنه الى والى حمص من قبَل الاخشيد (اسحق بن
هيفلغ) سنة ٣٢ ثلاث حقائق بارزة :

- (أ) أنه متهم بالعدوان على جماعة المسلمين .
- (ب) أنه سُجِنَ بتهمة التحريض على الثورة .
- (ج) أن خصومه الذين وشوا به يهود ، أو هو
يُنَبِّزُهم بأنهم يهود .

يدفع الشاعر التهمة الأولى بأنه كان فى ذلك
الوقت صبياً صغيراً . وربما كان معنى ذلك أن
التهمة الموجهة اليه كانت فى فترة صباه فى العراق .
وربما كانت هذه التهمة هى الاشتراك فى بعض
غارات القرامطة . وقد كانت كثيرة على الكوفة ، التى
اتخذوا معسكرهم فى قرية قريبة منها على ما ذكرناه .
وسنعود الى مناقشة هذه المسئلة .

ويدفع المتنبى التهمة الثانية بأن هناك فرقاً بين
الثورة وبين ارادة الثورة . وينبغى أن يحاسب

الناس على ما فعلوا لا على ما يريدون أن يفعلوا .
لأن الذى يريدون فعله علمه عند الله .

ثم هو يدفع التهم الموجهة اليه جميعاً بأنها من
تلفيق خصومه الذين يصفهم بأنهم يهود . وقد
ذكر المتنبي اليهود فى ثلاثة مواضع أخرى من
شعره : أشار مرة الى يهودي " يدس " له عند بدر بن
عمار ، ووصفه بأنه يبطن اليهودية ويظهر الاسلام .
وصرح فى موضع آخر باسم ذلك اليهودي وهو
(ابن كروّس) ووصفه بأنه أعور . وأشار فى
موضع ثالث الى يهودي كان يمشى بالنميمة والفساد
بين التنوخيين فى اللاذقية (٧٦) .

وقبل أن نقف عند هؤلاء الكائدين من اليهود
الذين نجحوا فى الايقاع بالشاعر والزج به فى
السجن ، وقبل أن نقف عند نبشهم تهمة الاشتراك
فى الاعتداء على جماعات المسلمين ، نحب أن نمضى
مع شعر المتنبي لنلاحظ أن فى هذا الشعر ما يدل
على أنه كان يسعى جاداً الى الثورة ويعد لها . وقد

سلك الى ذلك طريقين . سلك طريق العنف أولا ،
فادى به الى السجن . وسلك طريق السياسة ،
بالاتصال بأصحاب السلطان محاولا أن يستميلهم أو
أن يحظى عندهم بمنصب ذى نفوذ يعينه على تحقيق
أهدافه . ويبدو من شعره بوضوح أنه كان يسعى
لأهداف سياسية معينة يتكتمها ولا يصرح بها .

أقام المتنبي فى أول عهده بالشام فى قرية
تسمى «نحلة» قرب بعلبك . وهناك أخذ يُعد نفراً
ممن اجتمع اليه للقتال . ودعا الناس الى دعوته .
ولكنه لم يجد منهم اقبالا على الاستماع اليه .
ولذلك شبه نفسه بينهم بالمسيح بين اليهود ،
وبصالح فى ثمود (٧٧) .

ما مقامى بأرض نحله الا
كسقام المسيح بين اليهود
مفرشى صهوة الجواد ولك
ن قميصى مسرودة من حديد
لأمة فاضة أضاة دلاص
أحكمت نسجها يدا داود (٧٨)

أنا فى أمة - تداركها الله
ه' - غريب كصالح فى ثمود

ويتذكر المتنبي هذه الأيام فى آخر عمره وهو
عند عضد الدولة فى شيراز . ويبدو من شعره أنه
كان قد قضى فترة من الوقت فى البادية ، يصيف
بين حمص وخنَاصِرة ، ويشتو فى الصَّحاحان ،
وسط جماعة يتدربون على القتال ، ويعيشون حياة
بدوية تعتمد على النهب والغارات ، وعلى
ما يتصيدونه من وحش الصحراء (٧٩) .

أحب حمصا الى خنَاصِرة
وكلُّ نفس تحب مَحياها
حيث التقى خدُّها وتَفاحُ لبنا

ن وثغرى على حُمياها (٨٠)
وصِفْتُ فيها مصيف بادية

شَتوت بالصَّحاحان مشتاهَا
ان أعشبت روضة رعيناها

أو ذُكرت حِلَّة غزوناها

أَوْ عَرَّضَتْ عَانَةَ مَقْزُوعَةً
صَدْنَا بِأُخْرَى الْجِيَادِ أَوْلَاهَا (٨١)
وَالْخَيْلَ مَطْرُودَةً وَطَارِدَةً
تَجْرُ طَوْلَى الْقَنَا وَقَصْرَاهَا
يَعْجِبُهَا قَتْلُهَا الْكُمَاةَ وَلَا
يُنْظِرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلِهَا

والمواضع التى أشار اليها المتنبى فى هذه
الآبيات حول حمص هى المواضع التى قبض عليه
فيها فى أول حياته فأودع السجن .

وابتغى المتنبى الوسيلة الى تحقيق أهدافه وجمع
الناس على دعوته الثائرة بالاتصال بشيوخ القبائل
من البدو فلم يلق منهم استجابة . وصور رحلاته
الشاقة وخيبة مسعاه فى كثير من شعره الشامى على
وجه الخصوص . يقول فى احدى هذه القصائد (٨٢) :

أَوَانًا فِي بِيُوتِ الْبَدْوِ رَحَلِي
وَأَوْنَةً عَلَى قَتَدِ الْبَعِيرِ

أُعرِّضُ للرماح الصُّمَّ نَحْرِي
وَأَنْصِبُ حُرّاً وَجْهِي لِلْهَجِيرِ
وَأَسْرَى فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَحْدِي
كَأَنِّي مِنْهُ فِي قَمَرٍ مَنِيرٍ
فَقُلْ فِي حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا
عَلَى شَفَعْنِي بِهَا شُرَوَى نَقِيرِ
وَقِلَّةٍ نَاصِرٍ جُوزَيْتَ عَنْهَا
بِشَرِّ مَنِكَ يَا شَرَّ الدَّهْورِ

وحاول المتنبي أن يتصل بذوى النفوذ والسلطان يطلب منهم امداده ومساعدته بالسلاح والرجال حيناً ، ويطمع في أن يظفر بولاية تعينه على تحقيق أهدافه حيناً آخر . طمع عند كافور أن يوليه ولاية أو يعينه بجيش وبدا ذلك منذ القصيدة الأولى فقال (٨٣) :

وغيرُ كثير أن يزورك راجل
فيرجعَ مَلِكاً للعراقين واليا
فقد تهب الجيش الذي جاء غارياً
لسائلك الفرد الذي جاء عافياً

ثم ألح المتنبي على طلبه فى كل قصائده .
لقال (٨٤) :

فارمِ بى ما أردتَ منى فانى
أسَدُ القلبِ آدميُّ الرُّواءِ
وفؤادى من الملوك وان كا
ن لسانى يُرى من الشعراء

وقال (٨٥) :
اذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية
فجودك يكسونى وشغلك يسلب

وقال (٨٦) :
قالوا هجرت اليه الغيث قلت لهم
الى غيوث يديه والشايب
الى الذى تهب الدّولات راحته
ولا يَمُنُّ على آثار موهوب

وصرح فى هذه القصيدة بأن رحلته ليست لجمع
المال . فقال يصف فرسه :

تَهْوَى بِمُنْجَرِدَ لَيْسَتْ مِذَاهِبُهُ
لِلْبَسِ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ

وقال في قصيدة أخرى (٨٧) :
وما رغبتى فى عسجد أستفیده
ولكنها فى مَفخر أستجدُّه

ومنى المتنبي بالفشل فى كل محاولة حاولها
لتحقيق أهدافه . وأدرك آخر الأمر أنه لم يسلك
الطريق الصحيح الى هدفه ، حين ابتغى اليه الوسيلة
بالاتصال بذوى السلطان عن طريق مدحهم
وتملقهم . وعرف أن السيف وحده كان هو
الطريق الصحيح . ولكنه كان يعود فيحدث نفسه
فى حسرة قائلاً : ان آماله تحتاج الى المال والجاه ،
وهو لا يملك المال ولا الجاه . وما أشقى الطَّموح
إذا أعوزته الحيلة ، فكانت همته وآماله أكبر من
امكانه .

يقول من قصيدة له بمصر فى كافور (٨٨) :

وَأَتَعَبُ خَلْقَ اللَّهِ مِنْ زَادِ هَمِّهِ
وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجَدُهُ
فَلَا يَنْحَلِيلَ فِي الْمَجْدِ مَالُكَ كُلِّهِ
فَيَنْحَلُّ مَجْدَ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ
وَدَبَّرَهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفَّهُ
إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدُهُ
فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلَا مَالُ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

ويقول بعد رحيله من مصر في قصيدته (٨٩) :
حَتَامَ نَحْنُ نَسَارَى اللَّيْلِ فِي الظُّلُمِ
وَمَا سُرَاهُ عَلَى سَاقٍ وَلَا قَدَمِ
وَلَا يُحْسُ بِأَجْفَانٍ يُحْسُ بِهَا
فَقَدْ الرِّقَادَ غَرِيبَ بَاتٍ لَمْ يَنْمِ

وهي قصيدة تقطر حزناً ومرارة .. وقد عاودته
فيها آراؤه الثائرة التي رأيناها في شعر شبابه
الشامي .. ففيها يقول :

ما زلتُ 'أُضحك' ابلى كلما نظرت
الى من اختضبت أخفافها بدم
أُسيرها بين أصنام أشاهدها
ولا أشاهد فيها عفة الصنم
حتى رجعت وأقلامى قوائل لى
المجد' للسيف ، ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبداً بعد الكتاب به
فانما نحن للأسيف كالخدم
أسمعتنى . ودوائى ما أشرت به
فان غفلت فداى قيلة' الفهم
من اقتضى بسوى الهندى حاجته
أجاب كل سؤال عن هل لم

ويختم الشاعر قصيدته الحزينة بقوله :
وقت يضئ وعمر ليت مدته
فى غير أمته من صالح الأمم
أتى الزمان بنوه فى شبيبته
فسرهم وأتيناه على الهرم

ما هى هذه الأهداف الخطيرة التى ظل المتنبى يسعى وراء تحقيقها طوال عمره فذاق فيها السجن وعاش حياته مشرداً مهدداً ؟ اننا لا نجد فى شعر المتنبى اشارة صريحة لها . فهو يراها أخطر من أن يصرّح بها كما يقول فى قصيدته التى رثى بها جدته :

يقولون لى : ما أنت فى كل بلدة ؟
وما تبتغى ؟ ما أبتغى جل أن يُسمى

ولكن شعره ناطق بأنه كان يسعى الى أمر عظيم،
تعلم من الكيد المنظم والدسائس التى أحاطت به
فى كل مكان وترصدت له فى كل طريق أن يحرص
على كتمانها .

يقول فى احدى قصائده الشامية فى مستهل
حياته (٩٠) :

ومن يَبْغ ما أبغى من المجد والعلی
تساو المحامیىَ عنده والمقاتلُ

ألا ليست الحاجات' الا نفوسكم
وليس لنا الا السيوف وسائل'

ويقول ، وقد مر بمكان يُعرف بالفراديس ،
فسمع زئير أسد (٩١) :

أجارُكِ يا أَسَدَ الفَرَادِيسِ مُكْرَمَ
فَتَسْكُنَ نفس ، أم 'مهان فمُسْلَمَ ؟
ورائي وقُدَّامِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ
أَحَازِرُ مِنْ لِصٍّ وَمِنْكَ وَمِنْهُمْ
فَهَلْ لَكَ فِي حِلْفِي عَلَى مَا أُرِيدُهُ
فَاِنِّي بِأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ أَعْلَمُ
إِذَا لَأَتَاكَ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
وَأَثَرِيَتْ مِمَّا تَغْنَمِينَ وَأَغْنَمُ

ويقول ، وكأنه يهدد الذين تقرَّبَ اليهم بالمدح
فلم يعينوه على تحقيق أهدافه (٩٢) :
لِلَّهِ حَالٌ أَرْجِيْهَا وَتُخْلِيفُنِي
وَأَقْتَضِيْ كَوْنَهَا دَهْرًا وَيَمِطُّنِي

مدحت ' قوماً وان عشنا نظمت ' لهم
قصائدُ من اناث الخيل والحُصن

ويقول في احدى مدائحه لسيف الدولة (٩٣) :
'هم' بشيء والليالي كأنها
تطاردننى عن كونه وأطارِد
وحيد من الخلان فى كل بلدة
اذا عَظُم المطلوب ' قَلَّ المُساعد

ما هو الشيء الذى يهم به ويسعى اليه ولا
تساعده الظروف على تحقيقه ؟ انه ليس مطلباً
شخصياً . فالمطالب الشخصية لا تطلب بالسيف ولا
تحتاج الى الأعوان ، ولا يحارب صاحبها بهذا
الأسلوب المنظم . واذا كانت سياسية فهل كانت
مؤيدة للقرامطة كما ذهب اليه طه حسين وبعض
المستشرقين ؟ أم كانت معادية للقرامطة ، تريد أن
تنبه الناس الى خطر دعوتهم ، والى أن حقيقتها
تخالف ما يظهرون للناس منها ، ولفقرائهم
المعذيين على وجه الخصوص ، حين يزعمون لهم

أنهم يريدون أن ينتصفوا للمظلومين المحرومين من المترفين الظالمين ، ويُمَوِّهون عليهم بالآية الشريفة التى اتخذوها شعاراً يكتبونه على أعلامهم البيضاء: « ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ » (٩٤) .

ان الذى يدقق النظر ويطيل التأمل فى حياة المتنبى وفى شعره يستطيع أن يجد شواهد كثيرة على عدائه للقرامطة وللباطنية . فالمتنبى قد عاش حياة قلقة لم يذق فيها طعم الاستقرار الا عند الحمدانيين . وقد أشار ابن الأثير فى مواضع متفرقة من تاريخه الى جهاد الحمدانيين للقرامطة على وجه العموم ، والى جهاد أبى الهيجاء والد سيف الدولة لهم على وجه الخصوص (٩٥) وقد مضى سيف الدولة على آثار أبيه فى مجاهدة القرامطة . ففى سنة ٣٣٧ أغار القرامطة على حمص وأسروا واليها أبا العشائر بن حمدان (ابن عم سيف الدولة) ، فنهض اليهم وأوقع بهم واستنقذ ابن

عمه . وفى ذلك يقول المتنبى ، مشيراً الى جيش القرامطة (٩٦) :

وجيشِ اِمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ
صَحِيحِ اِلَامَةِ فِى الْبَاطِلِ

ويتهكم بزعيم القرامطة . وكأنه كان يزعم لأتباعه أن الوحي ينزل عليه ، ويموّه عليهم ويخدعهم بما خدعهم به الزعيم القرمطى السابق الملقب بالشيخ ، حين كان يزعم أنه اذا أشار بيده الى الجهة التى فيها محاربوه انهزموا (٩٧) وكأنما كان أتباعه ينخدعون بكلامه ، فيتقدمونه وهو راكب فوق جملة ، وعليه ثياب فضفاضة ذات أكمام واسعة ، كأنهم جماعة النحل الهائج أمام العاسل :

فَأَقْبِلْنِ يَنْحَازِنَ قُدَّامَهُ

نوافر كالنحل والعاسل
وَإِنِّى لَأَعْجَبُ مَنْ أَمَلَ
قَتَالَا بِكُمْ عَلَى بَازِلِ
أَقَالَ لَهُ اَللَّهُ لَا تَلْقَهُمْ
بِمَاضٍ عَلَى فَرَسٍ حَائِلِ

إذا ما ضربتَ به هامة
براها وغنّاك في السكاهل ؟ (٩٨)

ويشيد المتنبي في قصيدة أخرى بجهاد سيف
الدولة وجهاد أبيه في مناصرة الخلافة العباسية وشد
أزرها ضد القرامطة الذين كانوا يعملون على
تقويضها فيقول (٩٩) :

فأنت حسام الملك والله ضارب
وأنت لواء الدين والله عاقد
وأنت أبو الهيجا بن حمدان يا ابنه
تَشَابَهَ مولود كريم ووالد
أولئك أنياب الخلافة كُلِّهَا
وسائرُ أملاك البلاد الزوائد

ويشيد في قصيدة أخرى بمناصرة سيف الدولة
للخلافة العباسية ، مندداً بدولة البويهيين الشيعية
التي يسميها (دولة الكفر) (١٠٠) :

لأمر أعدته الخلافة للعدا
وسمته دون العالم الصّارم العَضْبَا

فَمَنْ كَانَ يُرْضِي اللّوْمَ وَالْكَفْرَ 'مَلَكُهُ
فَهَذَا الَّذِي يُرْضِي الْمَكَارِمَ وَالرِّبَا

ويتهكم المتنبي في موضع آخر بالدولة العباسية
التي يتبعها سيف الدولة والخاضعة للشيعية
البويهيين (١٠١) :

فيا عجبًا من دائل أنت سيفه
أما يتوقى شَفَرَتِي ما تقلدا ؟
ومن يجعل الضِرْغام للصَّيد بازَه
تصَيِّده الضِرْغامُ فيما تصيِّدا

ويشير في قصيدة أخرى الى جهاد أبي الهيجاء
- والد سيف الدولة - في حرب القرامطة ، حين
كان يتولى حراسة طريق الكوفة للحج سنة ٣١٢هـ
فيقول (١٠٢) :

ابنُ المعفَّرِ من نجد فوارسها
بسيفه وله كُوفانُ والحَرَمُ

ويشير الى غارات القرامطة على أطراف ملك

سيف الدولة فيجعلهم أعداءً للإسلام كالروم الذين
يجاهدونهم سواء بسواء حين يقول (١٠٣) :

أنت طولَ الحياة للروم غاز
فمتى الوعدُ أن يكون القُفول ؟
وسوى الروم خلفَ ظهرك روم
فعلى أيِّ جانبك تميل

ويسخر المتنبي من دعوى المهدي والرجعة ، التي
يُشيعها الباطنية والقرامطة ، لأنها تصرف
الناس عن معالجة الفساد بالكفاح في سبيل الإصلاح ،
وتعلّقهم بالأوهام . فيقول في إحدى قصائده
لعضد الدولة في شيراز (١٠٤) :

فان يكن المهديُّ من بان هديّه
فهذا . والا فالهدى ذا . فما المهدي ؟
يُعلّلنا هذا الزمانُ بذا الوعد
ويخدعُ عما في يديه من النّقد
هل الخيرُ خير ليس بالخيرِ غائب
أم الرُّشدُ شيء غائب ليس بالرُّشد ؟

وذلك كله صريح فى عداء المتنبى للباطنية
والقرامطة . فاذا أضفنا اليه ما سبق أن لاحظناه ،
من وصفه خصومه الذين يكيّدون له بأنهم أدعياء
قارة وبأنهم يهود تارة أخرى ، مع ما هو معروف من
اتهام الفاطميين بأنهم يهود ادّعوا النسب العلوي -
وهى تهمة شائعة فى عصرهم ، كما يبدو من المحاضر
التي دونتها الدولة العباسية (١٠٥) ، ومن كتب
الفرق - واذا أضفنا اليه كذلك ما لاحظناه
من القيم الخلقية التي تعلّق بها ومجّدها
ودعا اليها وأكثر من ترديدها ، وهي قيم تناقض
العقيدة الأساسية فى مذهب الاسماعيلية بكل
فروعها - ومنها القرامطة - ، تأكد عندنا من ذلك
كله ما ذهبنا اليه من أن المتنبى كان يناهض
القرامطة ودعاة الباطنية .

والواقع أن الشكوى التي يفيض بها شعر المتنبى
اليق' بعدو القرامطة منها بالداعية القرمطي .
للداعية القرمطي لا يشكو ولا يتعجل النتائج ،
لأن الدعوة كانت تسير على نظام مرسوم بطريق

سرى لا تجهر فيه بالشكوى من قلة النصير ، ولا تعلن فيه العداء للناس ، ولأن دعاة الباطنية - ومنهم القرامطة - كانوا ينشئون تنشئة خاصة ، تكسبهم خبرة بطباع الناس والمجتمعات ، وقدرة على الدخول الى قلوبهم من أقرب الطرق وأحبها اليهم . وكان الكتمان أبرز صفاتهم . وانما الأليق بهذه الثورة أن تكون تعبيراً عن ضيقه بفساد المجتمع والحكام ، الذى مهد الطريق لدعوة القرامطة ومكن لها ، وبعدم استجابة الناس له حين ينبئهم الى خطر القرامطة والفاطميين فتقعد بهم البلادة والغباء والخوف عن الاستجابة لدعوته ، وحين يجد كثيراً منهم واقعاً تحت سيطرتهم عن رهبة أو غفلة . وحين يقصد الأمراء وأصحاب النفوذ والسلطان فيجدهم مشغولين عن الجهاد وتكاليفه بالترف والشهوات .

ولو كان المتنبى داعية قرمطياً كما ذهب اليه بعض الباحثين لعاش كما يعيش كل دعاة القرامطة متخفياً لا يعرف الناس حقيقة ميوله . ولما واجه

هذا الكيد المنظم فى كل بلد حل به وفى كل طريق
سلكه ، وهو كيد لا يصدر الا عن جماعة واسعة
الانتشار دقيقة التنظيم . وأعداء ' القرامطة ليس
لهم رابطة منظمة . وقد واجه المتنبى دعاية محكمة
فى التشنيع بسيرته وبشعره على السواء ، فوضعوا
قصصاً تصور بخله ودناءة نفسه . ولم يتورع
بعض هذه القصص عن رميه بالغلمان ، مما
يتعارض تعارضاً صارخاً مع حياته وشعره .
وزعموا أنه ادعى النبوة ، وصنعوا كلاماً ركيكاً
زعموا أنه عارض به القرآن . ولو أراد المتنبى
معارضته حقاً فلقد كان قادراً على كلام أعلى طبقة
وأبلغ عبارة . وزعموا أنه كان لا يصلى ولا يصوم
ولا يقرأ القرآن . وأغرى به المهلبى " وزير " مُعز
الدولة البويهى جماعة من الشعراء الساقطين
سلوكاً وفناً ينهشونه ويزعمون أن أباه سقاء
وينالون منه (١٠٦) . وأغرى به الحاتمي " ، فقصده فى
مجلسه بين تلاميذه الذين يأخذون عنه شعره ،
وتطاول عليه وحقره ، فى القصة المشهورة التى

تصور الظلم والتحامل ، والتعسف فى تتبع الأخطاء ، وانكار المحاسن وادعاء أنها مسروقة (١٠٧) . ووضعوا عدداً ضخماً من الكتب فى سرقاته وفى تتبع مساوئ شعره (١٠٨) . وذلك كله بالاضافة الى ما كان يحاك له من دسائس، وما يوضع فى طريقه من العقبات ، وما يهدد حياته فى أسفاره من ترصد ومطاردة .

وهذا الصراع الذى خاضه المتنبى طول حياته ، والذى انتهى بمقتله ، يذكرنا بردّ الشريف الرضى على أبيه حين عاتبه فى الشعر المنسوب اليه ، والذى يمدح به الفاطميين . فلما أنكره الرضى طلب اليه أبوه أن يعلن هذا الانكار بين الناس ، فاعتذر من ذلك قائلاً : (.. ولكنى أخاف من الديلم وأخاف من المصري ومن الدعاة فى البلاد) (١٠٩) . لقد أصبح الدعاة الذين بثهم الفاطميون فى كل مكان ، والدّيلم الذين يؤيدون هذا المذهب ، قوة تبعث الرعب فى النفوس . وقد ازداد خطرهم من بعد

ذلك حين استولى الحسن الصباح على قلعة أَلْمُوتِ
(جنوبى بحر قزوين) سنة ٤٨٣ هـ .

ولكن قصيدة واحدة فى ديوان المتنبى من قصائد
صباه فى الكوفة تعارض هذه الصورة التى
استخرجناها من سائر شعره ، وتدل دلالة صريحة
على أن الشاعر من غلاة الشيعة الباطنيين الذين
يؤمنون بالحلول . ونعنى بها قصيدته (١١٠) :
كُفِّى ، أَرَانِى - وَيَكْ - لَوْمَكَ أَلَوْ مَا
هَمُّ أَقَامَ عَلَى فَوَادِ أَنْجَمَا

وهى قصيدة أخفى الشاعر اسم الممدوح فيها ،
واكتفى الديوان فى تقديمها بقوله : (وقال وهو
فى المكتب يمدح انساناً ، وأراد أن يستكشفه عن
مذهبه) .

يقول المتنبى فى هذه القصيدة لممدوحه المجهول :
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُصَفَّى جَوْهَرًا
مِنْ ذَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ أَسْمَى مِنْ سَمَا

نور تَظَاهَرَ فِيكَ لَا هَوْتِيهِ
 فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَا
 أَنَا مُبْصِرٌ وَأَظُنُّ أَنِّي نَائِمٌ
 مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالْإِلَهِ فَأَحْلَمَا
 كَبَّرَ الْعِيَانُ عَلَى حَتَّى إِنَّهُ
 صَارَ الْيَقِينُ مِنَ الْعِيَانِ تَوْهُمًا

هذه الأبيات صريحة في دلالتها على أن صاحبها
 يؤمن بما يذهب إليه الباطنية الاسماعيلية في
 أممتهم . وهى تذكرنا بوصف داعى الدعاة مقابلته
 الأولى للمستنصر الفاطمي ، الذى ذكرناه من قبل .
 والمدوح بهذه القصيدة غير معروف ، لكن من
 المحتمل أن يكون أحد دعاة القرامطة فى الكوفة .
 ولعله (أبو الفضل) الذى ورد ذكره فى كتاب
 أبى القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني
 الذى ألفه لبهاء الدولة بن بويه (.ايضاح المشكل
 فى شعر المتنبي) ، حيث قال إن أبا الطيب (كان
 فى صغره وقع الى واحد يكنى أبا الفضل بالكوفة
 من المتفلسفة . فهوَّسه وأضله كما ضل) (١١١) وهذه

القصيدة هى نقطة البدء التى بنى عليها
كلامهم كلٌّ من ذهب الى تفرمط المتنبي من
الباحثين (١١٢) .

والقصيدة على كل حال لا شك فى دلالتها .
وليس لنا بد من أن نقول ان المتنبي كان واقعاً
تحت سيطرة القرامطة - الفكرية على الأقل - حين
كتبها . ويدعونا هذا الى أن نتساءل : هل كان هو
وحده واقعاً تحت سيطرة القرامطة ، أم كانت
أسرته تشاركة فى اعتناق هذا المذهب ؟ اننا
لا نعرف شيئاً عن أسرته ولا نعرف أباه ولا نعرف
أمه . وقد تحاشى المتنبي ذكرهما فى كل شعره رغم
ما ووجه به من تحدّى خصومه . ولا نعرف عن
جدته الا القصيدة التى رثاها بها ، وما رواه الخطيب
البغدادى من أنها كانت همدانية صحيحة النسب ،
وكانت من صالحات النساء الكوفيات (١١٣) .

وما دام التاريخ قد سكت عن هذه المسئلة ،
وما دام شعر المتنبي يقف منها موقف الصمت ،

فليس لنا بد من أن نملأ هذه الفجوة فى قصة حياة شاعرنا بالفروض . فهل نستطيع أن نفترض - مع ما نعرفه من تسلط القرامطة على الكوفة ، واتخاذهم معسكراً فى البادية القريبة منها (١١٤) - أن القرامطة قد نجحوا فى استدراج والد المتنبى ووالدته الفقيرين ، الى مذهبهم الذى كان يستدرج أمثالهما من الفقراء بما يعدهم من عدل ورخاء فى ظل المهدي المنتظر ، فرحلا مع ابنهم الصغير الى أحد معسكراتهم ؟ وشاركوا فى غارات القرامطة على الكوفة ؟ وأن الصبى الصغير حين شب وعقل قد اطلع على مخازيهم فى هذا المعسكر بعد أن عاش فيه سنين ، فهرب الى جدته التى كانت تعيش فى حزن يأكل قلبها على مصير ابنتها . وامتلأت نفس المتنبى بالسخط على المجتمع الذى عاش فيه ، بكل ما فيه من فساد وظلم . سخط على الحياة اللاهية المترفة التى يحيها أصحاب الجاه والسلطان ، والتى يقابلها فى الناحية الأخرى حرمان شديد وفقير مدقع . وسخط على الانحلال والفساد الذى يغرق فيه الأغنياء المترفون . وسخط على الانحلال

والفساد الذى يُدفع اليه الفقراء المُعدِمون .
وسخط على استخزاء الناس وضعف همهم وتفاهتهم
وانشغالهم بشهواتهم . واعتبر ذلك الفساد بكل
مظاهره وألوانه مسئولا عن تسلل المذاهب الهدامة
التي تختفى خلف شعارات براءة تعمل من وراءها
عناصرٌ غريبة على المسلمين وعلى العرب ، تريد أن
تضرب الاسلام والعرب فى وقت واحد . كانت
نفس المتنبى تفيض بهذا السخط ، وكانت هذه الآراء
تدور فى رأسه ، وتُنضج الحقد الذى يملأ صدره ،
والسخط الذى يغلى فى أعماقه . وكانت جدته
الحازمة المنكوبة تحيط برعايتها وارشادها ذلك
الصبى الصغير الذى أصبح كلَّ ما بقى لها فى
الحياة . ولكن المتنبى لم يطق حياة الذل والعار .
ولم يستطع أن يواجه المجتمع الكوفى الصغير ، الذى
يتساءل فى كثير من الدهشة التى يخالطها الاشفاق ،
والتي لا تخلو فى بعض الأحيان من الغمز واللمز ،
عن اختفاء والد المتنبى ووالدته . رحل المتنبى الى
الشام يحمل بين جنبيه كل ما أنضجته التجربة
القاسية من حقد ومن سخط . ويحمل فى رأسه كل

ما وَعَى من حقائق فى مجتمعه وفى مجتمع القرامطة وما سمع من جدته . ولم يقدر فى فورة شبابه واندفاعه قدرته وامكانه . وظن أن الأمر يسير ، وأنه يستطيع أن يفعل شيئاً يغيّر به الوضع القائم . ولمَ لا يفعل وباب المجد فى عصره مفتوح لكل طموح ولكل مغامر ، من جنود الترك الذين كانوا يثبون من منازل الخدم الى مقاعد الرياسة ، ومن مشايخ القبائل وأصحاب الدعاوى والدعوات الذين كانوا يثبون فجأة وفى سهولة ويسر الى مراكز الامارة ، ولا يلبثون أن يستقلوا عن الخلافة وأن يصبحوا ملوكاً فى اماراتهم المستقلة ؟

بدأ المتنبي يتصل فى الشام بمشايخ القبائل وبالأمراء ، يتقرب اليهم بشعره مادحاً ، ويحاول أن ينبههم الى خطر القرامطة والدعوة الباطنية ، والى فساد الأوضاع الاجتماعية القائمة ، وأن يضمهم فى جبهة واحدة تقف فى وجه هذا الخطر الذى يزحف عليهم من الشرق بالقرامطة ومن الغرب بالفاطميين . ولكن دعاة القرامطة والفاطميين وعملاءهم كانوا

يتعقبون الفتى الشاب ويرصدونه ، ويحيطونه
بمكايدهم ودسائسهم ، التي استمرت الى نهاية عمره
وانتهت بمقتله .

هذا المعسكر القرمطى الذى نفترض هرب
المتنبى اليه مع والديه وهو بعدُ صبًى صغير ،
يذكرنا بما رواه الطبري وابن الأثير فى حوادث
سنة ٢٩٠ هـ من خبر المرأة العراقية التى غاب عنها
ولدُها فخرجت تنشده حتى وقعت عليه فى معسكر
القرامطة ، وما وصفته من حياة الشيوع الجنسى
الذى كان هؤلاء القرامطة يعيشون فيه ، وما كان
من ضرب ابنها لها بالسيف حين هربت من هذا
المعسكر (١١٥) .

وهذا الفرض الذى ذهبنا اليه يمكن أن يفسر
كثيراً من الغموض فى حياة الشاعر وفى شعره .
فهو يفسر لنا صمته عن ذكر أبيه وأمه . ويفسر
لنا ما رواه الخطيب البغدادي وابن الأنباري
والبديعى من أن الشاعر قد خرج الى البادية فعاش

مع الأعراب سنين ، ثم عاد الى الكوفة بدوياً
قُحاً (١١٦) . ويفسر لنا البيت الذي جاء في قصيدته
الدالية التي وجهها الى اسحق بن كيغلغ من سجنه ،
وهو قوله :

وقيل عدوتُ على العالمِ
من بين ولادى وبين القعود

فالتهمة التي أثارها خصومه وقتذاك فيما يبدو
هي أنه اشترك مع أسرته وهو بعدُ صبي صغير .
— فى غارة أو عدوان على جماعة المسلمين .

ويفسر لنا ذلك الفرض ' كذلك ما جاء فى تقديم
القصيدة الدالية السابقة من أن الشاعر قد أسقط
بعض شعره ، وكانت هذه القصيدة مما أسقطه من
شعر الصبا (١١٧) . ويفسر لنا أيضاً اشارته فى احدى
قصائده عند سيف الدولة الى جماعة عاش بينهم فى
صباه ، بين (العُدَيْب) و (بارق) و (الثَوِيَّة) —
وهى مواضع فى ظاهر الكوفة — ووصف حياتهم
بالخشونة . فهم يفترشون الأرض ، ويذبحون

ما يقتنصون من وحش الصحراء بما بقى من سيوفهم
التي كسروها فى رءوس من قتلوا من الناس (١١٨) :
تذكرت ما بين (العُدَيْب) و (بارق)
مَجَرَّ عوالينا ومَجَرَّى السوابق
وصحبة قوم يذبحون قنيصهم
بفضلة ما قد كَسَّرُوا فى المَفَارِق
وليلة توسَّدنا (الشَّوِيَّة) تحته
كأن شَراها عَنبر فى المَفَارِق

ويفسر لنا هذا الفرض كذلك بعض ما جاء فى
القصيدة التى رثى بها جدته . ففى هذه القصيدة
ظواهر كثيرة تلفت نظر الدارس (١١٩) :

فالمتنبى قد جاء لزيارة جدته بعد غيبة طويلة فى
الشام . ولم يشأ أن يدخل الكوفة ، وكتب الى جدته
أن توافيه فى بغداد . فلما باغتها كتابه بعد يأس
من لقائه حُمَّت وقاتلتها المفاجأة لوقتها :
أتاها كتابى بعد يأس وترحة
فماتت سروراً بى فمت بها غمًا

والمتنبى يشير الى أنه قد ترك جدته مطالباً بثأر
لها هو فى الوقت نفسه ثأر له ، ففاته الثأر وفاتته
جدته :

طلبتُ لها ثأراً ففاتت وفاتنى
وقد رضيتُ بى لو رضيتُ بهما قسماً
فأصبحتُ أستسقى الغمامَ لقبرها
وقد كنتُ أستسقى الوغى والقنا الصمّاً
هبينى أخذتُ الثأرَ فيك من العدا
فكيف بأخذ الثأرَ فيك من الحمى

ويشير المتنبى الى ما تثيره كثرة أسفاره وتنقله
بين البلاد من تساؤل عن حقيقة أهدافه . ويقول
ان أهدافه أخطر من أن يصرح بها :

يقولون لى ما أنت فى كل بلدة ؟
وما تبتغى ؟ ما أبتغى جلّ أن يُسمى

ويقرر المتنبى - فى قصيدة رثاء ، يخيم عليها

حزن عميق - أنه سيمضى فيما بدأه ، حتى ينتقم لها
ويأخذ بثأرها :

لئن لَدَّ يومُ الشامتين بيومها
لقد وَلَدَت منى لآنا فهم رغما
... ولكننى مستنصر بذ'بابه
ومرتكب فى كل حال به الفشما
وجاعله' يوم اللقاء تحيى
والا فلست' السيدَ البطل القرما

والمتنبى فى هذه القصيدة يُضفى على جدته
كل ما فقدته من صفات الأبوة والأمومة معاً . ففيها
حنان الأم حين يقول :

لَكَ اللهُ من مفاجعة بحبيبها
قتيلةٍ شوق غيرٍ ملحقِها وصما

وفيهما حزم الأب وقوة ادراكه وقدرته على
التوجيه حين يقول :

فوا أسفًا أن لا أ'كبَّ مقبلاً
لرأسك والصدر اللذئى ملئاً حزما

هذه الفوضى الخلقية والاباحة الجنسية التي اطلع عليها المتنبي في معسكر القرامطة هي التي تركت في نفسه ذلك الأثر العميق والكراهية الشديدة للخمر وللنساء ، التي تبدو واضحة في سيرته وفي شعره . وهو في الوقت نفسه يعلل لنا قصيدتين بالغتين في الافحاش ، وقف أمامهما الرواة والدارسون حائرين ، وهما قصيدته في اسحق بن كَيْفَلْغ في طرابلس ، وقصيدته في ضَبَّة بن يزيد العيني الأسدي (١٢٠) . والافحاش فيهما صريح عار ، يقوم على اتهام كل من المهجوين في عرضه وفي عرض أمه وعرض زوجته . فهل كان ذلك تعريضاً بقرمطية المهجو ؟ من الثابت أن أحد المهجويين - وهو ضبة - كان قَرْمَطِيّاً . فالذين أغاروا على الكوفة ، حين كان المتنبي فيها بعد عودته من مصر سنة ٣٥٣ هـ كانوا من قرامطة بنى كلاب ، أخوال ضبة (١٢١) . والذين خرجوا مع ضبة ، وترصدوا المتنبي وقتلوه في عودته من شيراز الى بغداد كانوا من قرامطة بنى كلاب أيضاً (١٢٢) .

ان هذا الافحاش المكشوف فى الهجاء يذكرنا
بشعر أبى القاسم الواساني فى منشأ اليهودي ،
الذي كان والياً للعزیز الفاطمي فى الشام (١٢٣) .
وربما كان شيوع مذهب القرامطة فى الشام وفى
العراق فى القرن الرابع الهجري هو المسئول عن
ذلك السيل الفاحش من الهجاء المكشوف الذى يملأ
كتاب (يتيمة الدهر) .

وبعد ، فقد طال الحديث وامتد ولم نبـلـغ
ما نريد . فلعل باحثاً يتفرغ لتتبع صلات المتنبي
بالقبائل والأماكن التى ذكرها فى شعره من ناحية ،
ولموقف هذه القبائل والأماكن من دعوة القرامطة
والاسماعيلية الفاطمية من ناحية أخرى . وهو
عمل شاق طويل ، ولكنه مفيد . وقد يؤكد تأكيداً
قاطعاً ما ذهبنا اليه من فرض .

وأعود فى آخر الأمر فأختتم هذا الحديث بالكلمة
العميقة المعنى البالغة الدلالة فى تصوير تواضع

العلماء وبراءتهم من الغرور ، واقرارهم بالقصور .
وهى الكلمة التى تعود علماؤنا أن يختموا بها كل
رأي يذهبون اليه حين يقولون : « والله أعلم » ..



الحواشي المشار الى أرقامها في النص

- (١) طائفة الاسماعيلية ص ٥٤-٥٧ ، ١٧٨ .
- (٢) كشف أسرار الباطنية ص ١١ ، ٤٢-٤٤ .
- (٣) فرق الشيعة ص ٧٢ .
- (٤) مختصر الفرق بين الفرق ١٤٢-١٤٤ .
- (٥) الحاكم بأمر الله ص ٥١ - كشف أسرار الباطنية ص ١٧ -
- ابن الأثير ٦ : ١٢٥ من حوادث سنة ٢٩٤هـ . وقد اختلفت الآراء في دينه .
فمن قائل انه مجوسى . ومن قائل انه يهودي ومن قائل انه نصراني ديسانى .
وأية ما كان الأمر فجمهور المؤرخين متفقون على أنه كان يكره الاسلام
والعرب ، ويعمل على هدم دينهم ودولتهم . (راجع « الحاكم بأمر الله »
ص ٤٨-٥٣) .
- (٦) طائفة الاسماعيلية ص ١٤ .
- (٧) راجع في ابن الأثير ج ٦ : ظهور أبى سعيد الجنابى في البحرين
سنة ٢٨٦هـ ، وظهور ذكرويه بن مهرويه في الشام سنة ٢٨٩هـ . ومن المؤرخين
من يرجع نشأة الدعوة الباطنية الى أيام المأمون ويجعل ثورة بابك (الخرمى)
من ثورات الباطنية والقرامطة . وقد كان الأفشين القائد العباسى المشهور
يغضى ولاءه لهم ، ثم قتله المعتصم حين اكتشف حقيقته - التبصير في الدين
ص ٨٤ ، مختصر الفرق بين الفرق ص ١٨٣ .
- (٨) طائفة الاسماعيلية ص ١٤-٢٢ .
- (٩) صحح نسبهم ابن الأثير وابن خلدون والمقريزي . وابن الأثير - مع
تصحيحه نسبهم - يروى أخباراً غاية في البشاعة من أفعال القرامطة ، مع
ما هو معروف من أنهم فرع من الدعوة الفاطمية . وابن الأثير لا يعتمد في
تصحيح نسب الفاطميين الا على قوله « وسألت أنا جماعة من العلويين في نسبه
- يقصد صاحب مصر - فلم يرتابوا في صحته » ولكنه لا يورد أسماء هؤلاء
الذين سألهم . بينما يذكر أسماء الأشراف والعلماء الذين وقعوا المحضر
العباسى القادح في نسب الفاطميين . كما ينقل عن الأمير عبد العزيز صاحب
تاريخ افريقية والمغرب أن نسبهم معروف في اليهودية . ولا يعتمد ابن الأثير
- عدا ما ذكره من شهادة بعض العلويين الذين لم يذكر أسماءهم - الا على
شعر منسوب للشريف الرضى يقول فيه :

ما مقامى على الهوان وعندى مقول صارم وأنف حمى
ألبس الذل فى بلاد الاعادى وبمصر الخليفة العلوى
من أبوه أبى ومولا مولا ي اذا ضامنى البعيد القصى

مع أن ابن الأثير نفسه قد ذكر بعد ذلك فى قصة هذه الأبيات أن الشريف الرضى أنكر نسبة الشعر إليه حين عاتبه أبوه فيه . ولكنه امتنع عن تكذيبه عند الخليفة خوفاً من بطش (الديلم والمصري والدعاة فى البلاد) - ابن الأثير ٦ : ١٢٥-١٢٦ حوادث سنة ٢٩٦هـ . أما ابن خلدون فهو - مع إقراره بصحة نسبهم - يقر بكفرهم وإباحتهم ويقول أن صحة نسبهم لا تغنى عنهم من الله شيئاً فى كفرهم - الحاكم بأمر الله ص ٥٤ نقلاً عن مقدمة ابن خلدون - أما المقرئى فهو فى رأيه ناقل عن شيخه وأستاذه ابن خلدون ومثاله . ومع ذلك فهو الذى نقل فى خطه عن مراتب الدعوة الفاطمية التسع ما لا يشك معه فى أن دعوتهم تنتهى بالسالك فيها إلى الكفر ، بإسقاط كل التكاليف بعد تأولها ، وباعتقاد أن الفلاسفة أعلى طبقة من الأنبياء - الخطط ج ٢ ص ٢٢٧-٢٣٥ .

(١٠) الخطط للمقرئى ج ٢ ص ٢٢٧-٢٣٥ . وأقدم نص انتهى إلينا فى إنكار نسب الفاطميين ما نقله ابن النديم فى كتاب (الفهرست الذى ألفه سنة ٣٧٧هـ رواية عن أبى عبد الله محمد بن علي بن رزّام الكوفي فى كتاب له يرد فيه على الاسماعيلية ، كتبه فى خلافة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ) ويتفق مع ابن رزّام فى رد نسب الفاطميين وفى وصفهم بالحاد والإباحة - مع خلاف فى التفصيل - عبد القاهر البغدادي (المتوفى سنة ٤٢٩هـ) فى حديثه عن دعوى الباطنية من كتابه « الفرق بين الفرق » . وهناك روايات صريحة فى أن أصل الفاطميين مجوسى أو يهودى . منها رواية القاضى أبى بكر الباقلانى (المتوفى سنة ٤٠٣هـ) وهو ينسبهم وينسب القرامطة إلى المجوسية . ومنها رواية ابن تغرى بردى فى كتابه « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » عن القاضى عبد الجبار البصري الذى ينسبهم إلى اليهودية . ومنها رواية ابن الأثير والمقرئى عن الأمير عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز ابن باديس صاحب « تاريخ أفريقية والمغرب » وهو ينسبهم إلى اليهودية أيضاً ، ويصفهم بالزندقة والحاد والإباحة ، وبأنهم أعداء الإسلام الذين أرادوا إفساده بالتأويل والأحاديث الكاذبة . وينكر ابن حزم نسبهم إلى آل البيت ويصفه بأنه (كذب فاحش ودعوى مفتضعة) لأن محمد بن اسماعيل ابن جعفر لم يكن له قط ولد اسمه الحسين . ويوافقه فى ذلك ابن خلكان . وأكثر الروايات المصرية المتأخرة تنكر نسبهم وفى مقدمتها التويرى (المتوفى سنة ٧٣٢هـ) وابن حجر (المتوفى سنة ٩٧٣هـ) . بينما تلزم التواريخ المصرية

فى العهد الفاطمى الصمت ازاء هذه المسئلة . وقد جمع محمد عبد الله عنان هذه الأقوال فى كتابه « الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية » فى فصل طويل خص فيه أقوالهم عنوانه « نسب الفاطميين بين المنكرين والمؤيدين » .

(١١) فرق الشيعة ص ٧٢ - الحاكم بأمر الله ص ٢٨٨ نقلا عن أحمد بن محمد النيسابورى أحد دعاة الاسماعيليه .

(١٢) تاريخ الدولة الفاطمية ٣٨٥ وما بعدها - مختصر الفرق بين الفرق ١٧١ - التبصير فى الدين ٨٣ . ومن المهم أن نذكر أن حصن القرامطة الذى الذى اتخذهُ حماد قرمط كان فى قرية من قرى الكوفة ، لأن شاعرنا الذى نتحدث عنه قد ولد فى الكوفة بعد ذلك بنحو ربع قرن سنة ٣٠٣هـ .

(١٣) تاريخ الدولة الفاطمية سنة ٣٨٨ .

(١٤) طائفة الاسماعيليه ٢٥ .

(١٥) طائفة الاسماعيليه ٢٩ .

(١٦) تاريخ الدولة الفاطمية ٣٩٦هـ .

(١٧) بل لقد كان الامام مبالغة منه فى التستر يسمى الدعاة باسمه ويلقبهم بلقبه . والى هذه المبالغة فى التستر يرجع خروج القرامطة عن طاعته . فقد استطاعوا أن يعرفوا اسم الامام . وقابلهم صاحب هذا الاسم وبارك حركتهم . فلما عادوا اليه مرة أخرى وجدوا شخصا آخر يحمل الاسم نفسه . فشك زعماء القرامطة فى الامام وفى الدعوة نفسها . وتكررت القصة نفسها مع أبى عبد الله الشيعى داعية الفاطميين الذى أسس دولتهم فى المغرب . فهم بالخروج عليهم حين رأى أن الامام الذى ظهر فى المغرب غير الامام الذى قابله من قبل فى (سلمية) ودعا اليه . وكاد ينجح فى حركته لو لم يبادر عبد الله المهدي الى قتله وقتل أخيه أبى العباس - طائفة الاسماعيليه ص ٢٥-٢٦ ، ١٥ .

(١٨) فرق الشيعة ص ٧٦ .

(١٩) المخطط ج ٢ ص ٢٢٧ عند كلامه عن وصف الدعوة وترتيبها .

(٢٠) طائفة الاسماعيليه ١٣٣ - ١٣٥ - ديوان المؤيد فى الدين ص ٥٤ - التبصير فى الدين ٨٦-٨٧ .

- (٢١) طائفة الاسماعيلية ص ١٤٠-١٤٢ .
- (٢٢) راجع نظام الدعوة ودرجاتها ، ونص العهد الذى يؤخذ على الداخل فى خطط المقرئى (مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤هـ) ج ٢ ص ٢٢٧-٢٣٥ .
- (٢٣) الحاكم بأمر الله ص ٢٦٦ .
- (٢٤) طائفة الاسماعيلية ١٦١ .
- (٢٥) بل ان من غلاتهم من أمر أتباعه بطرح جميع التكليف الدينية ، بزعم أن الامام هو المسئول الأول عن أتباعه ، وهو الذى يتحمل بدلهم الحساب ما داموا يطيعونه ويعتقدون امامته - طائفة الاسماعيلية ص ٨١ .
- (٢٦) طائفة الاسماعيلية ص ١٥٦-١٥٧ - ديوان المؤيد فى الدين ص ٦٩-٧١ ، ٨٩-٨٨ .
- (٢٧) طائفة الاسماعيلية ص ١٦٤ - ديوان المؤيد ص ٨٨-٨٩ .
- (٢٨) طائفة الاسماعيلية ص ١٥٧-١٥٨ - ديوان المؤيد ص ٩٤-٩٦ - الحاكم بأمر الله ص ٢٧١ - وراجع نظرية المثل والمثول فى ديوان المؤيد ١٠٦-١٠٨ وراجع الخطط للمقرئى ٢ : ٣٣٢ فى كلامه عن الدعوة الثانية وما بعده .
- (٢٩) انتهى كلام دوزى ملخصاً . نقلا عن « الحاكم بأمر الله » ص ٢٨٥ .
- (٣٠) وقد ظل فى حيازتهم اثنتين وعشرين سنة قبل أن يردوه فى سنة ٣٣٩هـ - راجع ابن الأثير فى حوادث هذا العام ٦ : ٣٣٥ .
- (٣١) وفى تاريخ أبى الفداء « المختصر فى أخبار البشر » تفصيل أكثر لفظاتهم فى هذا اليوم .
- (٣٢) طائفة الاسماعيلية ص ٩٢ وما بعدها - ابن الأثير ٦ : ١٧٧ حوادث سنة ٣١٢هـ فى مساعدة ابن الفرات وزير المعتضد للقرامطة ، ٦ : ١٩٤ حوادث سنة ٣١٦هـ فى اظهار القرامطة أنفسهم يعد غارات أبى طاهر على السواد .
- (٣٣) تراجع أمثلة لغارات أبى طاهر القرمطي على الحجاج فى ابن الأثير سنة ٣١٢ ، ٣٢٢هـ ٦ : ١٧٧ ، ٢٤٩ . ومثال آخر فى غارة ذكرويه عليهم

سنة ٢٩٤-٦ : ١١٥ . وتراجع أمثلة في غارات القرامطة على المدن في المرجع السابق : غارتهم على الكوفة سنة ٢٩٣هـ (٦ : ١١٤) ، سنة ٣١٥هـ (٦ : ١٨٦) ، سنة ٣٢٥ (٦ : ٢٥٩) ، وعلى بلاد الجزيرة سنة ٣١٦هـ (٦ : ١٩١) ، وعلى دمشق سنة ٢٩٠هـ (٦ : ١٠٤) ، وعلى مدن الشام سنة ٢٩٣هـ

(٦ : ١١٣) ، وعلى المدن والقرى في البحرين سنة ٢٨٧هـ (٦ : ٩٤) .
ويراجع في إباحتهم الفروج واتبان الذكران وترك الصلاة والصيام وغيرها من العبادات مختصر الفرق بين الفرق ص ١٧٥ ، وتاريخ ابن الأثير في حوادث سنة ٣٢٢هـ عند كلامه عن مذهب الشلمغاني الذي أحدث مذهباً غالياً في التشيع (٦ : ٢٤١-٢٤٢) ، وسنة ٣٠١ عند كلامه عن قتل أبي سعيد الجنابي حين راود غلامه عن نفسه في الحمام (٦ : ١٤٧) . وراجع قصة المرأة التي وقعت في معسكر القرامطة حين كانت تبحث عن ولدها الذي استغفوه ، في حوادث سنة ٢٩٠ (٦ : ١٠٥) . وراجع كذلك ما رواه محمد بن مالك الحمادي اليماني مما عاينه بنفسه من فضائعهم في كتابه (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة) ولا سيما ص ١١-١٦ . وراجع كذلك النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) ص ٧٤ ، وفضائح الباطنية للغزالي .

(٣٤) تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢١٠ .

(٣٥) الحاكم بأمر الله ص ٨١ .

(٣٦) الحاكم بأمر الله ص ٨٦ . وراجع أمثلة في كتاب (تاريخ الدولة الفاطمية) ص ٢٠٢-٢١٥ . وراجع أمثلة لتشدهم مع أهل السنة من المسلمين في ص ٢١٩ . وراجع كتاب (الحاكم بأمر الله) ص ٨٠ ، ٨١ ، ٨٦ .

(٣٧) راجع في تطور دعوتهم وتلونها كتاب (طائفة الاسماعيلية) ص ١٤٧-١٥١ . وراجع في استعمالهم أبجدية خاصة (ديوان المؤيد في الدين) ص ١٣١ .

(٣٨) دائرة المعارف الاسلامية - مادة « المتنبى » .

(٣٩) ذكرى أبي الطيب ص ٤٢ .

(٤٠) ذكرى أبي الطيب ص ٥٢-٦٠ ، ٢٤٢-٢٤٣ .

(٤١) ديوان المؤيد في الدين ص ٣٧ .

(٤٢) الديوان - نشر عزام : ص ٢٠٩ .

(٤٣) الديوان - نشر عزام : ص ٤٧٥ .

(٤٤) الديوان ص ١٧٠ .

(٤٥) الديوان ص ٤٧٨ .

(٤٦) وهنا نجد الكتاب مصدراً للثقافة عند المتنبي . ومصدر الثقافة والمعرفة عند القرمطي هو الامام وما يسمونه علم الباطن وهو عندهم علم الحقيقة .

(٤٧) الديوان ص ٥١٩ .

(٤٨) الديوان ص ٢٠٩ ، ٢ وقد جاء في القصيدة الاولى :

كذا الفاطميون النداء في اكفهم أعز أمعاء من خطوط الرواجب
وقد فهم بعض الباحثين من هذا البيت أن المتنبي يذكر الفاطميين أصحاب
الدولة المعروفة في المغرب ومصر . والواقع أن المتنبي لم يقصد من كلمة
(الفاطميين) الا العلويين . وقد عرض المتنبي بالفاطميين في أكثر من موضع
في شعره .

(٤٩) الديوان ص ٨٤ .

(٥٠) بحيرة طبرية .

(٥١) الديوان ص ١٩٥ .

(٥٢) الديوان ص ١٩١ . ولم يسم الديوان المقصود بهذا الشعر . ولكنه
أشار الى أن المقصود هم بعض العلويين من ولد العباس في طبرية . وأكثر
الأعلام الواردة في هذه الفترة التي سبقت اتصال المتنبي بسيف الدولة
مجهول . وأياً ما كان المقصود بالأبيات فهي في الوقت نفسه صالحة لأن تكون
في الفاطميين ، فهم يدعون الانتساب لمحمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق .
والتاريخ لا يعرف لمحمد هذا نسلاً .

(٥٣) الديوان ص ٢٠٩ .

(٥٤) الديوان ص ١٢٨ .

(٥٥) القند خشب الرجل . الغرير فعل كريم تنسب له الابل . الجلال
العظيم .

- (٥٦) الديوان ص ١٥٣ .
- (٥٧) الديوان ص ١٥٥ .
- (٥٨) السبوت الأرض التي لا نبت فيها .
- (٥٩) مكن الضب يبيضه .
- (٦٠) الديوان ص ٤٥٦ .
- (٦١) الديوان ص ٥٤٧ . وراجع كذلك قصيدته الميمية ص ٥١٠ . وراجع في وصف الرحلة ص ٤٨٨-٤٩٦ .
- (٦٢) جعل طه حسين هذا الشعر الشاعر مظهراً لتأثر الشاعر بمذهب القرامطة .
- (٦٣) الديوان ص ٣ .
- (٦٤) الديوان ص ٢٨ .
- (٦٥) الديوان ص ١٤٩ . جرش في جنوب شرقي طبرية ، وفي شمال عمّان .
- (٦٦) ديوان المتنبي ص ١٧٤ .
- (٦٧) الطمرة القرس الوثابة . الحيزوم الصدر أو الحصر . الغمر الحقد .
- (٦٨) ديوان المتنبي ص ٨٤ .
- (٦٩) الديوان ص ٩٢ .
- (٧٠) الثمام نبت ضعيف .
- (٧١) الديوان ص ٤١٧ .
- (٧٢) الديوان ص ٤٢٧ .
- (٧٣) المتنبي لمحمود شاكر ص ١١٥-٧٨ ، ٢ : ١٨٦-١٩٥ .
- (٧٤) ذكرى أبي الطيب ص ٥٢-٦٠ . وفي تقدير عزام أن رواية الخطيب البغدادي كانت أصلاً لمعظم الروايات التي رويت في ادعاء المتنبي النبوة .

(٧٥) مع المتنبي ص ٩٧-٩٩ .

(٧٦) الديوان ص ١٣٧ ، ١٥٣ ، ٦٧ وذلك قوله :

وأنتَ المشيرَ عليك في بضلة فالحُرُّ ممتَحَنٌ بأولاد الزنا
وإذا الفتى طرح الكلام معترضا في مجلس أخذَ الكلام اللدّ عني
... أمسى الذي أمسى بربك كافرا من غيرنا معنا بفضلك مؤمنا

وقوله : (ص ١٥٣) :

فيا ابنَ كروئسَ يانصفَ أعمى وأن تغضب فيا نصف البصير
تغاديننا لأنا غير لئك وتبغضنا لأنا غير عنور

وقوله على لسان التوحيين في ابن عم لهم مات ، زعم اليهودي أنهم شمتوا فيه : (ص ٦٧) :

رثي ابنَ آيينا غيرُ ذى رحم لنا فباعدنا عنه ونحـنـ الأقارب
وعرَّضَ أنا : شامتون بموته والا فزارت عارضية القواضب
أليس عجيباً أن بين بني أب لنجلٍ يهودي تدبُّ العقارب

(٧٧) الديوان ص ١٣ . ولنذكر أن (نحلة) كانت قرية لبني كلب . وأن

بني كلب من القبائل التي استغواها القرامطة - ابن الأثير ٦ : ١١٣-١١٤ حوادث سنة ٢٩٣ .

(٧٨) لامة فاضة درع واسعة فضفاضة . إضاءة براقه كالخدير . دلاص

لينة ملساء .

(٧٩) الديوان ص ٥٥٢ .

(٨٠) الضمير الأول لصاحبته ، والثاني للخمر .

(٨١) عانة قطع من حمر الوحش . مقزعة متفرقة .

(٨٢) الديوان ص ١٥٣ .

(٨٣) الديوان ص ٤٣٩ .

(٨٤) ص ٤٤٤ .

(٨٥) ص ٤٦٤ .

(٨٦) ص ٤٤٦ .

(٨٧) ص ٤٥٠ .

(٨٨) الديوان ص ٤٥٠ .

(٨٩) الديوان ص ٥١٠ .

(٩٠) الديوان ص ٢٧ .

(٩١) الديوان ص ١١١ .

(٩٢) الديوان ص ١٥٥ .

(٩٣) ص ٣١٠ .

(٩٤) ابن الأثير ٦ : ١٩٤ حوادث سنة ٣١٦ .

(٩٥) ففي حوادث سنة ٢٩٠ تحدث عن مطاردة الحسين بن حمدان (عم سيف الدولة) للقرمطي صاحب الشامة في بادية الشام وأسر و قتلته (٦ : ١٠٨) . وفي حوادث سنة ٢٩٣ تحدث عن مطاردة الحسين بن حمدان للقرامطة في بادية السماوة وهزيمتهم (٦ : ١١٣ - ١١٤) . وفي حوادث سنة ٢٩٤ تحدث عن إيقاعه بأصحاب ذكرويه بن مهرويه في الشام (٦ : ١١٧-١١٨) . وفي سنة ٣١٢هـ تحدث عن حراسة أبي الهيجاء بن حمدان (والد سيف الدولة) طريق الكوفة للحج وأسر أبي طاهر القرمطي له (٦ : ١٧٧) . وفي حوادث سنة ٣١٥هـ تحدث عن استيلاء أبي طاهر القرمطي على الأنبار وتهديده بغداد ، وإشارة أبي الهيجاء بن حمدان على مؤنس المظفر أن يقطع القنطرة الموصلة الى بغداد . وبذلك نجت العاصمة من القرامطة .

(٩٦) الديوان ص ٢٥٨ .

(٩٧) ابن الأثير . حوادث سنة ٢٩٠هـ (٦ : ١٠٤) .

(٩٨) وإلى مثل ذلك أشار أبو فراس في حرب سيف الدولة للقرمطي الذي كان يدعى بالمبرقع حين أغار على (حمص) وأسر أبا وائل تغلب بن حمدان . فنهض إليه سيف الدولة وأوقع به وقتله . وعاد يحمل رأسه فوق رمحه . وذلك قول أبي فراس الحمداني : (يتيمة الدهر للثعالبي ١ : ٢٤ في أخبار سيف الدولة) .

وَانْقَذَ مِنْ مَسِّ الْحَدِيدِ وَثَقَلَهُ
قَابَ وَرَأْسُ الْقَرْمُطِيِّ أَمَامَهُ
أَبَا وَائِلَ وَالْدهْرُ أَجْدَعُ صَاغِرُ
لَهُ جَسَدٌ مِنْ أَكْعَبِ الرَّمْحِ ضَامِرُ
(٩٩) الديوان ٣١٠ .

(١٠٠) الديوان ص ٣١٨ . وقد تسلط البويهيون على الخلافة منذ سنة ٣٣٤هـ ، وضربت ألقابهم على النقود . وقد كان البويهيون من غلاة الشيعة . وكانوا متعصبين لمذهبهم الشيعي . وقد حملوا الناس على الاحتفال بأعياد الشيعة ، مثل الغدير وعاش المحرم . وكان العداء مستحكماً بين البويهيون وبين الحمدانيين . وكان هذا العداء راجعاً الى تنافسهم من ناحية ، والى ما بينهم من خلاف مذهبي من ناحية أخرى . وقد همّ معز الدولة بن بويه بتحويل الخلافة من العباسيين الى العلويين . ثم رجع عن ذلك لاعتبارات سياسية نبهه اليها بعض خواصه - تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) للغضري . الطبعة الرابعة ص ٣٧٨ ، ٣٨٢ .

(١٠١) ص ٣٥٨ .

(١٠٢) الديوان ص ٤١٧ .

(١٠٣) الديوان ص ٤٢٧ .

(١٠٤) الديوان ص ٥٤٧ .

(١٠٥) كتب أول هذه المحاضر في عهد الخليفة العباسي القادر بالله سنة ٤٠٢هـ - وهو معاصر للحاكم بامر الله الفاطمي . وقد وقع المعضر كبار الفقهاء والقضاة وبعض زعماء الشيعة . ويتضمن المعضر الطعن في نسب الفاطميين ، وأنهم ديصانية وينتسبون الى ميمون بن ديصان القداح ، وأنهم كفار زنادقة وفساق ملاحدة ، أباحوا الفروج وأحلوا الخمر وسبّوا الأنبياء وادعوا الربوبية . ثم صدر ببغداد معضر آخر سنة ٤٤٤هـ يتضمن المطاعن نفسها ، ويزيد عليها أن الفاطميين يرجعون الى أصل يهودي أو مجوسي ، ثم صدر معضر ثالث يؤكد المعضرين السابقين سنة ٤٤٨هـ - تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٠٩-٤١١ ، الحاكم بامر الله ص ٥٥-٥٦ .

(١٠٦) راجع تفصيل ذلك في (الصبح المنبى عن حيثية المتنبي) للمبدعي ص ٤٨ الى ٤٩ ، ٥٠ ، ٧٣ الى ٧٨ ، ٣٢ الى ٣٣ ، ٨١ .

(١٠٧) الصبي المنبى ص ٧٣-٨٠ وراجع مثل ذلك أيضاً في قصته مع أبي فراس ص ٨٢-٨٣ .

(١٠٨) راجع أسماء الكتب في (الصبح المنبى) ص ٨٢ ، ١٦١ .

(١٠٩) ابن الأثير ٦ : ١٢٥ حوادث سنة ٢٩٤هـ .

(١١٠) الديوان ص ٨ .

(١١١) ذكرى أبى الطيب ص ٣٨ .

(١١٢) وبنى طه حسين على ذلك أن المتنبي قد اضطر للجلاء عن الكوفة بعد جلاء القرامطة ، فذهب إلى بغداد داعية للمذهب القرمطي . وقد بنى الباحث ذلك على أنه مدح محمد بن عبد الله العلوي بقصيدته (أهلاً بدار سبائك أغيدها) ووصف فيها فراره من الكوفة سيراً على الأقدام . والواقع أن الممدوح بهذه القصيدة لم يكن في بغداد ، ولكنه كان في ظاهر الكوفة ، كما حققه عبد الوهاب عزام (ذكرى أبى الطيب ص ٤٦) . وربما كان ما ذكره في القصيدة من وصف رحلته سيراً على الأقدام وصفاً لعودته من البادية إلى الكوفة .

(١١٣) ذكرى أبى الطيب ص ٣٥ .

(١١٤) تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٨٦ .

(١١٥) ابن الأثير ٦ : ١٠٥ حوادث سنة ٢٩٠هـ ، الطبري ٨ : ٢١٩ .

(١١٦) ذكرى أبى الطيب ص ٣٨ .

(١١٧) ديوان أبى الطيب المتنبي ص ٤٦ . وقد أثبتتها الشاعر من بعد اجابة لرغبة بعض أهل الأدب .

(١١٨) الديوان ص ٣٨٦ .

(١١٩) الديوان ص ١٥٩ .

(١٢٠) الديوان ص ٢١٨ ، ٥١٤ .

(١٢١) الديوان : حاشية ص ٥١٩ .

(١٢٢) الديوان ص ٥٨٧ .

(١٢٣) تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٠٢ - يتيمة الدهر للشعالبي ج ١ ص ٣٣٦ ، ٣٤٩ إلى ٣٥٥ .

المراجع التي ورد ذكرها في الحواشي

- ١ - تاريخ الأمم والملوك (ج ٨) للطبري - مطبعة الاستقامة بمصر ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
- ٢ - تاريخ الدولة الفاطمية - لحسن ابراهيم - الطبعة الثانية ١٩٥٨ م .
- ٣ - التبصير في الدين - للأسفراييني - مطبعة الأنوار بمصر ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م .
- ٤ - الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية - لمحمد عبد الله عنان - الطبعة الثانية ، لجنة التأليف ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٥ - الخطط للمقرئزي : راجع (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) .
- ٦ - ديوان أبي الطيب المتنبي - تحقيق عبد الوهاب عزام - مطبعة لجنة التأليف ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م .
- ٧ - ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة تقديم وتحقيق محمد كامل حسين - مطبعة الكاتب المصري عام ١٩٤٩ م .
- ٨ - ذكرى أبي الطيب - لعبد الوهاب عزام - الطبعة الثالثة - المعارف بمصر ١٩٦٨ م .
- ٩ - الصبح المنبي عن حيثة المتنبي - للبديعي - مكتبة عرفة بدمشق ١٣٥٠ هـ .
- ١٠ - طائفة الاسماعيلية - لمحمد كامل حسين - مطبعة لجنة التأليف - ١٩٥٩ م .
- ١١ - فرق الشيعة - للنوبختي - المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .
- ١٢ - الكامل في التاريخ (ج ٦) لابن الأثير - المطبعة المنيرية بمصر ١٣٥٣ هـ .

- ١٣ - كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة - لمحمد بن مالك الحمادي اليماني - مطبعة الأنوار بمصر ١٣٥٧هـ - ١٩٣٩ م .
- ١٤ - المتنبي لمحمود شاكر - مطبعة المدني بالقاهرة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م .
- ١٥ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) للخضري - الطبعة الرابعة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م .
- ١٦ - مختصر الفرق بين الفرق للبغدادي (اختصار الرسعني) - مطبعة الهلال بمصر ١٩٢٤م .
- ١٧ - مع المتنبي - لطف حسين - المعارف بمصر - الطبعة العاشرة .
- ١٨ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (ج ٢) للمقريزي - مطبعة النيل بمصر ١٣٢٤هـ .
- ١٩ - يتيمة الدهر - للثعالبي - مطبعة حجازي بمصر ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م .



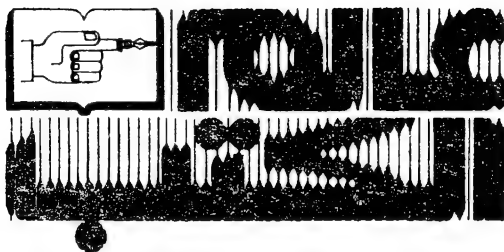
فهرس مفصل

٥	المتنبى في كتب القدماء والمعاصرين
٦	من هم القرامطة
٧	القرامطة في كتب التاريخ والفرق
٩	الامامة عند الشيعة تورث ولا تكتسب
١٠	أثر ابن سبأ في افساد التشيع
١٠	الاسماعيلية والامامة
١٢	الدولة الفاطمية وخلاف المؤرخين حول نسبهم
١٣	القرامطة شعبة من الاسماعيلية
١٤	خروج القرامطة على الفاطميين
	الدعوة الباطنية بشعبتيها - القرمطية والفاطمية -
١٥	دعوة هدامة
١٥	جهاز الدعوة الباطنية الاسماعيلية
	التأويل هو الباب الذي يدخل منه الباطنية الى أغراضهم
٢٠	الهدامة

٢٢	عقائد الباطنية مزيج من المذاهب والآراء الفلسفية القديمة
٢٣	القرامطة يتحولون الى قوة ارهايية مدمرة
٢٧	أين مكان المتنبي من الصورة التي قدمها المؤرخون للقرامطة
٢٧	التاريخ والأدب بين السلف والمعاصرين
٣٠	المتنبي في الدراسات المعاصرة لتاريخ الأدب
٣٤	المتنبي عدو للقرامطة
٣٤	القيم التي مجدها المتنبي تتعارض مع النظرية الشيعية التي تعتمد على الوراثة ولا مكان فيها للكسب
٣٥	شعر المؤيد في الدين داعى الدعاة مثل حي لتصوير هذه القيم
٣٧	المتنبي يعول في شعره على الكسب لا الوراثة
٤١	المتنبي يتهمكم ببعض العلويين
٤٤	شعر المتنبي ملء بذكر الكائدين الذين يتعقبونه في كل مكان
٤٨	هل كانت العداوات التي أكثر من الاشارة اليها في شعره شخصية أم سياسية

- ٤٨ ... ثورة المتنبي على الفساد الاجتماعى والسياسى
- ٥٣ ... قصة ادعاء النبوة .
- عداوة المتنبي للعناصر الدخيلة واتصاله بالحمدانيين
- ٥٤ ... أعداء الفاطميين .
- ٥٥ ... تَوَقَّر المتنبي وترفعه على خلاف أهل عصره
- ٥٥ ... كثرة ذكره للأنبياء وتشبيهه نفسه بهم
- ٥٦ ... حسد المعاصرين من الشعراء له
- ٥٧ ... تعارض النصوص التى وردت في ادعاء النبوة .
- ٥٨ ... شعره الذى قاله في السجن يخلو من الاشارة الى هذه التهمة
- ٥٩ ... نذر المتنبي نفسه لتنبيه الناس الى خطر القرامطة
- كان المتنبي يسعى الى تغيير النظام السائد من طريقين :
- ٦٢ ... طريق العنف ، وطريق السياسة
- ٦٣ ... المتنبي في قرية (نحلة) اولَ عهده بالشام
- ٦٥ ... اتصال المتنبي بشيوخ القبائل
- ٦٦ ... اتصاله بذوى النفوذ والسلطان للظفر بولاية
- ٦٨ ... شعر حزين يعبر عن فشل المتنبي في تحقيق آماله .

- ٧١ كتمان المتنبي حقيقة أهدافه ..
- ٧٤ شواهد من شعر المتنبي على عدائه للقرامطة
- الشكوى التي تملأ شعر المتنبي أليق بعدو القرامطة منها
- ٧٩ بالداعية القرمطي ..
- ٨١ واجه المتنبي كيداً منظماً طارده على امتداد حياته
- ٨٣ قصيدة للمتنبي تعارض ما ساد شعره من عداء القرامطة
- هل خضع المتنبي لمؤثرات قرمطية في مُستهلِّ حياته ؟
- ٨٥ وهل شاركته أسرته في ذلك ؟
- ٨٦ أدلة على صحة هذا الفرض
- ٩٧ الحواشي المشار الى أزقامها في النص
- ١٠٩ المراجع التي ورّد ذكرها في الحواشي



مجلة فصلية متخصصة تهتم بالكتاب وقضاياها

المؤسسان :
عبد العزيز الرفاعية
عبد الرحمن الحمر

رئيس التحرير :
محمد محمد صالح

هذه المجلة للمشاركين فقط .. لكي تشارك أرسل
١٠٠ ريال عن سنة كاملة على العنوان التالي:

دار ثقيف للنشر والتأليف

الرياض - ص ب ١٥٩٠



« مجلة الثقافة »
مجلة فكرية جامعة



تصدر في دمشق
تعنى بالأدب والفكر في العالم العربي جميعه



قيمة الاشتراك
مائة ليرة سورية
ترسل الى ادارة المجلة
سورية - دمشق
ص.ب : ٢٥٧٠



المقر الرياض - الملز - تفرع شارع جرير ص.ب (١٥٩٠)

تلفون ٤٧٧٧٢٦٩ - برقية : دار الرفاعي

المملكة العربية السعودية

مطابع الجروضة

جدة : عمارة بن خثيب ، أمام الهاتف لالت : ٢٧٩٢١١



ولدت في سوهاج، من مدينة إصفي
في مصر ١٩٢٢م. ولقيت تعليمي
الابتدائي والثانوي فقط، باستثناء
السنة الأولى الثانوية، التي التحقت
فقط بمدرسة أسعوط الثانوية،
لأنني كنت المدرسة الثانوية الوحيدة
في صعيد مصر وقتذاك. وحصلت
على البكالوريوس ١٩٤٧م ثم
الدرجة العربية في الجامعة المصرية

- وكذلك كما أنه، لأنني كنت الجامعة الوحيدة في
مصر وفي البلاد العربية وقتذاك، وعينت فيها في
الكلية في السنة فقط، وحلفت بتدريس أي قسم
درسا أسبوعيا في السنة الأولى، وكانت هذه هي
السابقة الأولى التي يعيد فقط معدي في سنة تجزئه
ويحلف بالتدريس، ثم حصلت على الماجستير والدكتوراه،
واشغيت بالتدريس في كلية الآداب بالاسكندرية ١٩٤٨م
وكانت وقتذاك رئاسة الجامعة المصرية في القاهرة،
ثم نقلت الربط بعد استقلال ١٩٤٩م وتدرجت في وظائف
المدرسين على أني شغلت كرسي الدراسات الإسلامية ١٩٥٤م
وأمرت أستاذة محلي إلى الجامعة الليبية وجامعة بيروت العربية،
ثم تفرقت مع جامعة بيروت العربية بعد بلوغي سنة
الافتقار ١٩٧٤م، وظللت على أني تفرقت مع جامعة
بسم الله محمد الإسلام ١٩٧٦م حيث أعمل الآن
٢ رجب ١٤٠١ هـ
(١٩٨١/٥/٦)